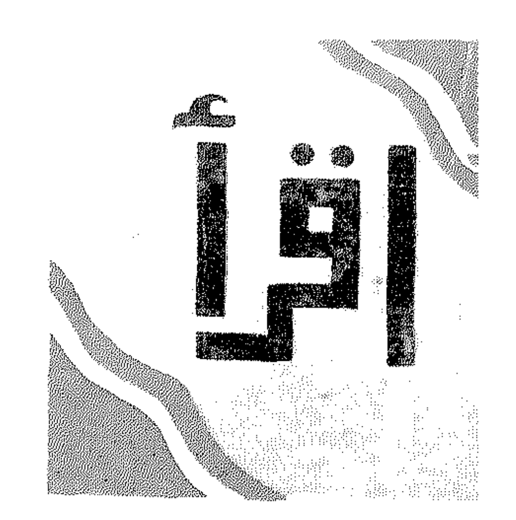
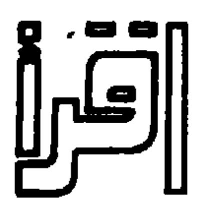


الدكتور محمد الدسوقي

طه حسين
يتحدث عن أعلام عصره



[٥٧٨]

طه حسين

يتحدث عن أعلام عصره

الدكتور محمد الدسوقى

طه حسين
يتحدث عن أعلام عصره



دار المعارف

إن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها ، لم يفكروا إلا فى شىء واحد ، هو نشر الثقافة من حيث هى ثقافة ، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية . وأن ينتفعوا ، وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة ، والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التى نحياها .

طه حسين

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

أتيح لى أن ألقى عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين - رحمه الله، وأن أعمل معه فترة غير قصيرة[1]، وفى أثناء تلك الفترة سمعت الكثير من العميد، وحدثنى عن قضايا أدبية وسياسية مختلفة، وكان مما حدثنى به، أو سمعته منه علاقته ببعض أعلام عصره من الكتاب والمفكرين والساسة والحكام، وجاء الكلام عن هذه العلاقة إشارات إلى بعض الأحداث، ولم يكن تفصيلاً وافيًا لها، كما جاء غالبًا عرضًا دون أن يكون مقصودًا لذاته، كأن أقرأ للعميد خبرًا فى صحيفة أو موضوعًا فى كتاب يتصل بعلَم من الأعلام الذين عرفهم، فيتحدث عن طرف من ذكرياته مع هذا العلم حديثًا مجملاً يتناول فى أغلب الشأن موقفًا واحدًا، ومن ثم كان حديث الدكتور طه حسين عن علاقته ببعض أعلام عصره أشبه ما يكون بالخواطر التى لا تعرف التسلسل أو الترتيب، كذلك كان هذا الحديث متباينًا بالنسبة لهؤلاء الأعلام من حيث القصر والطول، فهذا علم يتحدث عنه أكثر من مرة، على حين يتحدث عن سواه مرة واحدة.

---

(١) بدأت فى أواخر سنة ١٩٦٤، وامتدت إلى صيف ١٩٧٢م.

وهذا االكتاب الذى أقدمه عن علاقة العميد الرائد ببعض أعلام عصره ليس لى فيه إلا رواية النصوص والأخبار كما سمعتها، وإن كنت قد أضفت إلى ما سمعت بعض النصوص التى أومأ إليها العميد، أو أكمل بعض ما تحدث عنه.

على أن تلك الروايات والأخبار التى اشتمل عليها هذا الكتاب ينشر معظمها لأول مرة، ولذا تصبح لها قيمتها العلمية الهامة.

والذى أود أن أشير إليه أنى كنت أحرص أبلغ الحرص على ألا يعرف العميد أنى أدوِّن شيئًا مما يقول، وكنت أنصت لحديثه وأسجله فور سماعه تسجيلاً كاملاً إن استطعت، أو أدون أفكاره الأساسية، ثم أعيد كتابته فى نفس اليوم بعد انتهاء اللقاء، أحيانًا فى «رامتان»، وأحيانًا أخرى فى بيتى.

ويعلم الله أنى ما تقولت على العميد، أو حذفت بعض ما قاله، وأنى كنت أتغيًا من وراء حرصى على التدوين لكل ما أسمع وأرى خدمة الفكر والتاريخ.

على أنى أمسكت عن نشر بعض ما أفضى إلىّ العميد به؛ لأنه لا جدوى منه فى دراسة الحياة الفكرية لهؤلاء الأعلام، فضلاً عما فى إذاعته من اهتزاز الصورة المشرقة لبعضهم.

وقد عاتبنى أستاذى الدكتور إبراهيم مدكور الذى خلف العميد فى رئاسة المجمع - مد الله فى عمره - حول ما استسبحته لنفسى من نشر حديث دار بين اثنين الله ثالثهما، وأنى بهذا قد أسأت - عن غير قصد - إلى العميد، وأنه بما صدر عنه قد ظلم أعلام عصره.

ولا أعتقد أن الرجل قد ظلم أحدًا ممن تحدث عنهم، فقد جاء حديثه عفو الخاطر ولأدنى مناسبة، وكما ذكرت آنفًا ليس مقصودًا لذاته، فهو من ثم حديث صادق لا يعرف التزيد أو الاختلاق.

وبعد فأطمع أن يكون هذا الكتاب على إيجازه، والذى لا يدخل فى باب الدراسة بقدر ما يدخل فى باب الرواية قد اشتمل على مادة علمية مفيدة تساعد فى إلقاء مزيد من الضوء على حياة الدكتور طه حسين وتاريخنا الأدبى والسياسى المعاصر.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

دكتور محمد الدسوقى
أستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة قطر

الدوحة فى ٨ رجب سنة ١٤١٢هـ
١٣ يناير سنة ١٩٩٢م

إبراهيم المازنى[1]

قال عميد الأدب العربى :

لقد كان إبراهيم المازنى أديبًا مرحًا يعشق الفكاهة والسخرية وكان له أسلوب خاص فى الكتابة يجنح فيه إلى اليسر، وقد يظن بعض قرائه أنه يستعمل ألفاظًا عامية، ولكن هذا الظنّ فى غير موضعه، لأن ما يظنه عاميًّا هو فصيح كل الفصاحة، غير أن جرَيانه على الألسنُ وشيوعه بين الناس قد يوحى بأنّه عامّىّ، وكان المازنى يمقتُ الإغراب وينأى عن التعقيد، فهو يطلق نفسه على سجيتها لا يتكلف أبدًا وأذكر أنّه عمل معى

---

(١) يعد الأستاذ المازنى أحد أعلام النهضة الأدبية الحديثة، وصاحب القلم الساخر الذى كتب المقالة الوصفية والقصة وترجم الشعر والنثر.

وكان المازنى أديبًا مرهف الحس لاذع السخرية فى أسلوب سلس شائق ولد بالقاهرة سنة : ١٣٠٨ هـ - ١٨٩٠ م ، وبعد حصوله على شهادة الدراسة الثانوية سنة ١٩٠٥م دخل مدرسة الطب، ولكنه تركها؛ لأنه لم يتحمل رؤية حجرة التشريح ثم دخل مدرسة المعلمين، وعمل بعد تخرجه فيها مدرسًا، ثم ترك التدريس واشتغل بالصحافة، وقد خاض معارك كثيرة أدبية وسياسية.

انتخب عضوًا بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٤٧، له عدة مؤلفات فى الأدب والنقد، وله ديوان شعر، توفى سنة : ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م .

فى جريدة الاتحاد، وكان مثالاً للجد والدأب، ولكن السخرية لم تكن تفارقه فى كل تصرفاته..

واستطرد العميد قائلاً:

والمازنى لم يرضَ بالعمل الحكومى وتمرد على شكلياته وآثر العمل الحرّ الطليق فأقبل على الصحافة والكتابة وقولَ الشعر والترجمة، وأثره فى الأدب المعاصر كبير بلا جدال ويكفى أنه قام بدور لا بأس به فى مجال الدراسة النقدية فى العشرينات مع زميليه المرحومين عباس العقاد وعبد الرحمن شكرى..

ثم قال العميد: لقد كنت أحب المازنى وأقدره كل التقدير، ولما مات لم يكن له معاش، لأنّه ليس موظفًا حكوميًا، ولكنى وأنا وزير للمعارف طلبت من مجلس الوزراء - وكانت هذه أول مرة فى تاريخ المجلس - أن يقرر لورثة الأستاذ المازنى معاشًا واستطعت أن أحمل المجلس على أن يكون هذا المعاش ثلاثين جنيهًا فى الشهر، ولو استطعت أن يكون أكثر من ذلك لفعلت، ولكن المازنى لم يكن موظفًا، وتقرير معاش لإنسان غير موظف فيه عسر، ولولا ما بذلته من جهد لاتجه المجلس إلى عدم تقرير معاش لورثة المازنى يرحمه الله.

أحمد أمين[1]

قال عميد الأدب العربى :

كان المرحوم الدكتور أحمد أمين يعمل بالقضاء الشرعى ، وكان يضيق من هذا العمل ، لأنه كان يضطر إلى الذهاب إلى بعض المناطق النائية ، وقد سعيت لنقله إلى كلية الآداب ، وتوثقت علاقتنا فى الجامعة وكان بيننا تعاون علمى ، وأذكر أنى كتبت مقدمة لكتابه الأول فى موسوعته عن فجر الإسلام وضحاه وظهره . .

ولما أنشأ الدكتور أحمد أمين مجلة الثقافة كنت أكتب فيها بدون أجْر ،

---

(١) ولد أحمد أمين بالقاهرة سنة ١٢٩٥ هـ - ١٨٧٨ م ، وتعلم بالأزهر ومدرسة القضاء الشرعى ، وعمل مدرسًا بهذه المدرسة ، ثم قاضيًا بالمحاكم الشرعية ، ونقل من القضاء إلى التدريس بكلية الآداب ، وأصبح عميدًا لها سنة ١٩٣٩ م وقد أشرف فترة على الإدارة الثقافية بوزارة المعارف ، كما كان له فضل إنشاء جامعة الثقافة الشعبية ، وألف مع بعض زملائه لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وظل رئيسًا لها طوال حياته ، كذلك أنشأ مجلة الثقافة التى ظلت تصدر نحو عشرين عامًا وكان عضوًا بعدة مجامع علمية بمصر والبلاد العربية .

له مؤلفات كثيرة فى الفلسفة والأخلاق واللغة والأدب والتاريخ والفقه كما أن له سيرة ذاتية ممتعة بعنوان «حياتى» توفى سنة : ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .

وكنت قد اشتركتُ فى لجنة التأليف والترجمة والنشر، وما زلت حتى الآن مشتركًا بها، وكان الدكتور أحمد يلجأ إلىّ فى علاج مشكلات أبنائه فى التعليم، وكنت أعاونه ما استطعت، وأذكر أنى يسّرتُ لبعض هؤلاء الأبناء فرصة السفر إلى الخارج للدراسة على حساب الدولة، غير أن الدكتور أحمد أمين مع هذا تنكّر لى وانضمّ إلى الدكتور السنهورى فى التآمر ضدى، ومن الغريب أنى أحسنتُ إلى كليهما، وكنت أعمل على تحقيق ما يطلبان منى ولكنهما انقلبا على ومَكرا بى، ولست أدرى سببًا لهذا!

وأذكر يومًا فى جلسة من جلسات المجمع أنّه حدث خلاف بين الأعضاء فيمن يتولى الإشراف على المعجم الكبير، فلهذا الإشراف مكافأة مقدارها ثلاثون جنيهًا شهريًا، ولما احتدم الخلاف، وكان الدكتور أحمد أمين يصرّ على أن يعهد بالإشراف إليه، وقفت وقلت: ما رأيكم فيمن يتولى الإشراف على هذا المعجم مجانًا، واعترض الدكتور أحمد أمين على هذا، فقال له لطفى السيد وكان رئيسًا للمجمع: هل تشكُّ فى قدرة الدكتور طه العلمية؟ فردَّ الدكتور أحمد أمين بالنفى ولكنه أضاف: ولكن الدكتور طه بإعلان رغبته هذه يعلمنا دروسًا فى الأخلاق..

وقلت للعميد:

وماذا كنت نتيجة هذا الخلاف، قال: توليتُ الإشراف على المعجم الكبير دون أجر، ويشهد الله أنى ما أخذت مكافأة على جلسة من جلسات لجان المجمع أو غيرها، وتأكيدًا لما قاله العميد حول مكافأة اللجان أذكر أن مجلس معهد الدراسات العربية عقد بمنزل الدكتور طه مرة، وكنت

شاهدًا هذا الاجتماع، وبعده بنحو أسبوع جاء إلى الدكتور خطاب وبداخله صك بخمسة جنيهات قيمة مكافأة هذا الاجتماع وطلب منى العميد أن أرد هذا الصك إلى الأستاذ محمد خلف الله وكان مديرًا للمعهد، وحاول الأستاذ خلف الله أن يثنى العميد عن موقفه فلم ينجح .

ويختم العميد ذكرياته عن الدكتور أحمد أمين فيقول :

لما مات الدكتور أحمد أمين شيعت جنازته وذهبت مساء إلى سرادق العزاء واقترب منى أحد أبنائه وأسَرَّ فى أذنى : كيف يتصرف فى مكتبة والده وهى تملأ البيت، وأشرت عليه بأن يهديها إلى الجامعة أو دار الكتب، ولكنى لا أعلم ماذا جرى بشأن هذه المكتبة، وأنا واثق من أنها غنية بالمؤلفات القيمة فقد كان المرحوم مُغرمًا بالكتب واقتنائها. .

أحمد حسن الزيات[1]

قال عميد الأدب العربي :

عرفت بعد التحاقي بالأزهر محمود حسن زناتى، وفى يوم قال لى : انتظر حتى أعرفك بزميل لنا، وكان هذا الزميل هو الأستاذ الزيات، ومن يومها توثقت بيننا عرى الصداقة والأخوة، كنا نقرأ فى كتب الأدب معًا، ويهجو كل منا الآخر بالشعر وظلت علاقتنا قوية طوال حياة الزيات، ولم تفتر قليلاً إلا فى أواخر أيامه.

---

(١) الأستاذ الزيات أحد أدباء مصر المرموقين الذين يعتز بهم العالم العربى، وهو صاحب مدرسة أدبية جذبت إليها كثيرًا من الشبان فى الربع الثانى من القرن العشرين. وقد ولد بمدينة طلخا سنة ١٣٠٢هـ - ١٨٨٥م وتلقى علومه فى الأزهر ثم اشتغل بالتدريس فى إحدى المدارس الأهلية، وتعلم اللغة الفرنسية، والتحق بمدرسة الحقوق الفرنسية.

والأستاذ الزيات كاتب عميق الفكرة رصين الأسلوب، وله إنتاج أدبى يشهد له بالإبداع، كما أنه أنشأ مجلة الرسالة التى ظلت تصدر عشرين عاما تقريبًا تصل الماضى بالحاضر على هدى وبصيرة، كذلك رأس تحرير مجلة الأزهر أكثر من مرة وقد استطاع أن يجعل منها مجلة فكرية حديثة.

انتخب عضوًا بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٤٩، ونال جائزة الدولة التقديرية فى الأدب سنة ١٩٦٢ وقد توفى سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

إن تاريخ الأدب الحديث يجب أن يلقى أضواءه الكاشفة على هذه العلاقة التى ضمت الزملاء الثلاثة فى صحن الأزهر الشريف، فهذه العلاقة المباركة تعد اللبنة الأولى فى البناء الأدبى والفكرى لعميد الأدب وأمير البيان عليهما رحمة الله.

قال الدكتور طه:

لقد كنت أنا وزميلاى المرحومان أحمد حسن الزيات ومحمود حسن زناتى نقول الشعر، وكنا نجتمع ليلقى كل منا ما نظمه، وكان بعض ما نظمنا جيدًا غير أنّه لم يُدوَّن.

وأذكر أنى يوم زفاف الزيات ألقيت خطبة هنأته فيها، ومما قلته شعرًا بهذه المناسبة:

يا خليلى سلامى	حبذا يوم القران
حبذا أمس فقد أد	نى نوالا غير دانى
حبذا ليلة أمس	راق لى فيها زمانى
ليلة قد نلت فيها	من حظوظى ما شفانى
أنا لا أحمد منها	حسن توقيع الأغانى
إنما أحمد منها	حسن أنسى بفلان
لم أزل أقصف حتى	خلتُ أنى فى الجنان
بينا نحن على ذ	لك زفافٌ القمرَان
آه يا زيات ما أجمل ساعات الأمانى	
هن قد هجن لنفسى	ذكر سحر وعنان
أنا لولا سوء حظى	لم أكن إلا ابن هانى

يا شقيق النفس ضاق الشعر عن نظم التهانى
لا تلمنى إن دعوت الشعر والشعر عصانى
جلّ حبى لك يا زيات عن وصف البيانى

لقد توطدت العلاقة بين العميد والزيات منذ أيام الطلب فى الأزهر، وكان لقاؤهما دائمًا لقاء درس فى كتب الأدب وإنشاد لما قرَضا من الشعر أو نقد لما كتبا من البحوث والمقالات، وكان هذا اللقاء الفكرى الذى ضم العميد والزيات ومعهما زناتى يتم فى صحن الأزهر أحيانًا وأحيانًا أخرى فى بعض المساجد القريبة من الأزهر أو فى بيت واحد منهم حتى أصبح لوثاقة الصلة بين الزملاء الثلاثة ولاتفاق مشاربهم وميولهم وعكوفهم على كتب الأدب ونفورهم من المقررات الأزهرية ومناهج تدريسها - أصبح ينظر إليهم على أنهم شخص واحد، بحيث إذا صدر عن أحدهم أمر فإنّه ينسب إلى الزملاء الثلاثة وأوضح دليل على ذلك قضية تكفير الفقهاء للحجاج التى سيأتى الحديث عنها عند الكلام عن صلة العميد بأستاذ الجيل، فقد وجهت التهمة إلى الزملاء جميعًا مع أن العميد هو الذى خطّأ الفقهاء فى تكفيرهم للحجاج دون أن يصدر من الزيات أو زناتى شىء..

قال عميد الأدب العربى:

وحين تقدمت للجامعة الأهلية كان على أن أدفع جنيهًا واحدًا رسم تسجيل، ولم يكن معى ما أدفع، فطلبت من الزيات أن يدفع هذا الجنيه ولم أرده له ولن أرده..

وتمر الأيام ويسافر العميد إلى فرنسا، ويعود ليعمل بالجامعة على حين يعمل الزيات مدرسًا فى المدارس الأهلية ويدرس بعد ذلك فى مدرسة

الحقوق الفرنسية، أما زناتى فقد استقر به المقام فى دار الكتب مصححًا، ومع هذا ظلت العلاقة قوية بينهم، ويقول العميد:

وسافر الزيات إلى فرنسا لدراسة الحقوق ولما رجع أقمنا له حفلة تكريم، ولكنى أشك فى حصول الزيات على درجة الليسانس فى الحقوق من باريس وإن كان قد زعم لنا بأنّه قد امتحن وأخذ الليسانس.

ولما أنشأ الزيات مجلة الرسالة كنت أكتب فيها دون مقابل..

ويضيف العميد:

لقد كان الزيات معى لطيفًا جدا، وكانت سهراتنا ممتعة للغاية ولما عينت وزيرًا كتب عنى فى الرسالة كلامًا طيبًا وكذلك لما نلت درجة الباشوية، ويضحك العميد ويقول: لقد جمع الزيات التحيات فى بيت من الشعر كان يردده فى بعض مقالاته والبيت هو:

أهلًا وسهلًا طيبون وخشتنا سلامات ازيك وكيف الحال

حينما تولى العميد وزارة المعارف غمرت البهجة صديقه الزيات، وعلل لهذه البهجة بقوله: قد يكون مصدرها ذلك الزهو الذى يدرك الأخ حين يرى أخاه قد بلغ من مناصب الدولة ما لا غاية بعده، وقد يكون مصدرها تلك الغبطة التى تعترى الأديب حين يرى أديبًا نال بقلمه من السلطان والجاه ما لا مطمح وراءه، وقد يكون مصدرها ذلك الرضا الذى يغمر المواطن حين يرى رجلًا من رجال الرأى والعزم يتقلد وزارة من أضخم الوزارات، أثرها فى المجتمع كأثر الأم فى الأسرة، تهيىء الطفل بالتربية للعلم، وتجهز الشاب بالعلم للعمل.

ثم يشير إلى أسباب اختيار العميد للوزارة فيقول :

فاختياره للوزارة إنما يرجع إلى مزايا فيه فرضته فرضًا على الحكم وأنا أعلم الناس بهذه المزايا، وصدتها وهى تبزغ فى صدر الأفق وما زلت أرقبها وهى تسطع فى كبد السماء، هى مجموعة من المواهب والملكات، أبرزها براعة الذهن ولطافة الحس وسرعة الخاطرة وقوة الذاكرة وخصوبة القريحة ونصاعة الأسلوب وذلاقة اللسان وطواعية اللغة واتّساع المعرفة، ولكن هذه الصفات على قوتها وندرتها، ما كانت لتغنى هذه الغناء لولا سحر شخصيته وهى سر عظمته، وهذه الشخصية تستمد قوتها من عذوبة روحه وعظمتها من سمو نفسه، وجاذبيتها من سهولة طبعه، فهى قهارة من غير قهر وجبارة من غير جبروت..

والشخصية توهب ولا تكسب؛ والرجل من غيرها كتاب من غير عنوان ووجه من غير ملامح، وطه منذ أيفع كان بارز الوجود ظاهر الطابع مستقل الرأى فى درسه وفى مجلسه وفى عمله، يقول ومن طبيعته أن يفعل، ويقضى ويرى من كرامته أن ينفذ فإذا عوّقه عن فعل ما قال أو تنفيذ ما قضى معوق من طبائع الأشياء أو من خلائق الناس تجمعت قواه كلها على هذا المعوق لتزيله، كما تتجمع كرات الدم المدافعة على المكروب الواغل لتبيده، ومثل هذا الخلق لازم للحكم فى هذا العهد الذى شغل فيه الحاكمون بالشكل عن الموضوع وبالوسيلة عن الغاية، وهو لوزارة المعارف ألزم، لأن الجهل هو مشكلة المشكلات اليوم فى مصر فإذا لم يقيض الله لحلها رجلًا كمعالى الدكتور طه عاش بالعلم وللعلم، ظل أبناؤنا على غير أساس وسعينا على غير بصيرة..

ولما حصل العميد على درجة الباشوية حيّاه صديقه أمير البيان فقال :

رجلان فى مصرَ كلها جاءتهما الباشوية بعد أن كبرا عليها وضاقت عليهما : طلعت حرب وطه حسين . .

رفع طلعت حرب قواعد الاقتصاد المصرى على أربعة عشر أسًا من بنك مصر وشركاته، فارتفعت مكانته فى نفوس الناس حتى تهيبوه فى اللقاء والخطاب، ورأوا لقب البكوية قد نزل عن قدره فاحتالوا على تعظيمه بشتى الألقاب فقالوا منقذ مصر العظيم وزعيم الاستقلال الاقتصادى، وبطل النهضة القومية، فلما أتَتْه الباشوية آخر الأمر، كانت أشبه بثوب الصبى الناشىء على جسم الرجل المكتمل . .

ووثب طه حسين بالتعليم فى مختلف درجاته وثبة وجد كل مصرى أثرها فى نفسه إن كان معلمًا أو تلميذًا ، وفى أسرته إن كان أبًا أو وليًا وفى بيته إن كان جارًا أو صديقًا.

ثم يشير إلى الرتبة وقيمتها بالنسبة للعميد.

لم يكتسب طه حسين من الرتبة ما يكتسبه عادة فقير المجد أو غنى الحرب من ورم فى المعنى وانتفاخ فى الذات، وإنما اكتسب منها دلالتها السامية على تكريم ملكه وتقدير أمته.

ويختم الأستاذ الزيات تحيته بقوله :

لقد كان الإنعام السامى على صاحب المعالى طه حسين باشا لفتة كريمة من صاحب الجلالة أعلن بها رضاه عن وزير من وزرائه نفذ أمره فى خطاب العرش، وأمضى رأيه فى سياسة الدولة ، كما كان فرصة مواتية لهذا

الشعب الكريم عبر فيها عن اعترافه بالجميل لرجل من رجاله، عمل فأخلص العمل، ووعد فأنجز الوعد، وقاد فأحسن القيادة.

وكان يقال إن الأستاذ الزيات بخيل، غير أن العميد قال لى: إن ما يقال إن الزيات كان بخيلاً غير صحيح، وكم تناولت فى بيته العشاء مع بعض الأصدقاء، والذى يمكن قوله إنّه كان لا ينفق المال إلا فى موضعه وهذا ليس بخلاً ولكنه تدبير وحكمة.

وفى شهر فبراير من سنة ١٩٦٧ عقد المؤتمر السنوى للمجمع اللغوى، وبعد انتهاء المؤتمر أقيمت فى الجامعة العربية حفلة تحدث فيها الأستاذ الزيات عن شيخ العروبة أحمد زكى، وعرف العميد منى أن الزيات حاضرَ عن شيخ العروبة فقال: ما كان الزيات ليعرف شيئًا عن أحمد زكى، وما اتصل به، لقد كان أحمد زكى يرسل لى سيارته فى يوم الجمعة، وأجلس معه فى مكتبته طوال النهار، وكان يأمر بإحضار الغداء ونحن فى المكتبة، وفى نهاية اليوم كانت السيارة توصلنى إلى منزلى، فقلت للدكتور: أكان ذلك قبل سفركم إلى أوربا أم بعده، قال: قبل سفرى.

أما عن فتور العلاقة بين العميد والأمير فإن العميد كان لا يجد لها سببًا، وكان يقول لى: إن الأستاذ الزيات لم يعد يزورنى أو يتصل بى كما كان الحال بيننا من قبل، وكان إذا لقينى فى المجمع اكتفى بتحيتى قائلاً: ازيّك يا باشا..

وسألت المرحوم الأستاذ الزيات - وكنت أعمل معه فى لجنة المعجم الوسيط بالمجمع اللغوى - لماذا فترت العلاقة بينك وبين العميد أخيرًا؟ وكان جواب الأستاذ الزيات: إن العلاقة لم تفتر، ولكن زوجة الدكتور

هى المسئولة عن ابتعاد أصدقاء الدكتور عنه، وأنت تعلم أنّه لا يستطيع إغضابها فقلت : كيف تكون زوجة الدكتور مسئولة؟ قال : كانت تحول بينه وبين لقاء مَن يود وكنّا إذا ذهبنا إليه، ورغبنا فى اصطحابه معنا فإنها كانت لا تمكنه من ذلك بحجة أن صحته لا تساعده على الخروج، ولهذا ابتعد أصدقاء الدكتور عنه شيئًا فشيئًا حتى انقطعت صلته بهم تقريبًا.

أما أدب الأستاذ الزيات فإن العميد كان يعجب به ويثنى عليه ويقول: إنّه أدب يمتاز بدقة العبارة وأناقة الصياغة..

أحمد شوقى[1]

لم تكن العلاقة بين شوقى والعميد طيبة، وكان العميد ينقد شوقى بعنف، وكان شوقى يضيق بهذا النقد كل الضيق، ومع هذا كان إذا لقى العميد فإنه لا يضيق بلقائه، وعلى حد قول العميد : كان شوقى فى لقائه معى لطيفًا ولكنه كان يكرهنى؛ لنقدى الشديد له.

نشر فى صحف الأربعاء الموافق ٧٢/٢/٢ خبر يقول إن الدولة اشترت بيت شوقى لتحويله إلى متُحَف، وبعد قراءة هذا الخبر قال العميد : إن شوقى حين نظم قصيدته فى مدح كمال أتاتورك نقدت هذه القصيدة وذهبت إلى أن شوقى أخذها من البحترى، وضاق شوقى بنقدى لهذه القصيدة، كما كان يضيق بكل نقدى لسائر قصائده، وقد ذهب مرة إلى لطفى السيد وقال له : قل لصاحبك : أنّه لن يستطيع أن يهدمنى.

وكان فى أهرام الجمعة الموافق ١٩٦٩/٤/١١ مقال للدكتور حسين

---

(١) أشهر شعراء العصر الحديث، لقب بأمير الشعراء، ولد بالقاهرة سنة : ١٢٨٥هـ - ١٨٦٨م ونشأ فى ظل البيت المالك فى مصر، درس الحقوق فى فرنسا، ونفى إلى أسبانيا سنة : ١٩١٥، وعاد إلى مصر سنة : ١٩١٩، وكان من أعضاء مجلس الشيوخ، وقد عالج أكثر فنون الشعر، وتناول الأحداث السياسية والاجتماعية فى مصر والشرق والعالم الإسلامى، وكان أول من جود القصص الشعرى التمثيلى بالعربية، من آثاره الشوقيات فى أربعة أجزاء، وهو ديوان شعره، وعدة مسرحيات وقصص شعرية. توفى بالقاهرة سنة ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م

فوزى تحت عنوان : «من يركب الصعب وهو عالم بركوبه» تحدث فيه عن الرواية الغنائية، ولكن العميد مع حرصه على قراءة كل ما يكتبه الدكتور فوزى طلب منى بعد أن قرأت نحو ثلث المقال أن أتوقف، فالموضوع غير جدير بالقراءة ثم قال : اذكر أنى حضرت مسرحية كليوبترا لشوقى، وكان يمثلها عبد الوهاب، وكان حين ينادى كليوباترا يفخم التاء بطريقة مفتعلة، على حين كانت ترد كليوبترا على أنطونيو بصوت منخفض جدا، وضحك العميد لتذكره مواقف تلك الرواية. واستطرد العميد فقال :

إن شوقى أول شاعر فى العربية كتب المسرحية الشعرية، ولكننا بدأنا فى هذا الفن من حيث انتهى سوانا، ثم إن هناك عيبًا فى المسرحيات الشعرية العربية سواء مسرحيات شوقى أو غيره، وهو عدم التزام وزن واحد فى المسرحية كلها، فالمسرحية الفرنسية تلتزم كلها وزنًا واحدًا، وفى رأيى أن عدم التزام الشاعر فى المسرحية وزنًا واحدًا دليل على ضعفه.

وبمناسبة الحديث عن مسرحيات شوقى وتمثيل عبد الوهاب لبعضها قال العميد : أذكر أنّنا كنا فى بيروت ومعنا الشاعر أحمد شوقى، وكان هناك اتفاق على أن يغنى عبدالوهاب فى بعض ملاهى بيروت من شعر شوقى، ولكن حدث أن والد عبد الوهاب توفى قبل الحفلة. وعرف عبد الوهاب ذلك فامتنع عن الغناء، فذهبت إليه وجعلته يغنى، وفى أثناء غنائه انفرط باكيًا وكان غناؤه وبكاؤه مؤثرين جدا.

ويختم العميد حديثه عن شوقى بقوله : ومن المدهش أن مؤنس تزوج حفيدة شوقى، وما كنت أعتقد أنّنا سنصبح أصهارًا بعد هذا الخلاف وكراهية شوقى لى، لنقدى لشعره.

أحمد لطفى السيد[1]

قال عميد الأدب العربي :

كان أحمد لطفى السيد لى أبًا وصديقًا وأستاذًا، وكان لى أكثر من هذا كله، وترجع صلة العميد بلطفى السيد إلى أيام «الجريدة» التى كان يرأس لطفى تحريرها، والتى كان يتخذ من دارها ندوة أدبية وسياسية يؤمها المثقفون والسياسيون، وكان الدكتور طه حسين قد عرف طريقه إلى الكتابة فى الصحف وهو ما زال طالبًا فى الأزهر، وقد أخذ ينشر فى الجريدة دون أجر ويحافظ على حضور ندواتها ويشترك فيها بآرائه ومناقشاته، ولا ريب فى أن لطفى السيد بذكائه وفراسته آنس من الفتى الأزهرى إرهاصات العبقرية والنبوغ فأدناه منه وعطف عليه وكان له كما قال العميد.

---

(١) ولد أحمد لطفى السيد بقرية برقين من أعمال مركز السنبلاوين دقهلية سنة ١٢٨٨ هـ - ١٨٧٢ م، حفظ القرآن الكريم فى طفولته، ثم تعلم بالمدارس الحكومية ونال إجازة الحقوق سنة ١٨٩٤، وتقلد بعض مناصب النيابة، واشتغل بالسياسة والصحافة، وكان أحد قادة الوفد المصرى الذى تولى قيادة مصر فى ثورة سنة ١٩١٩، وقد عمل بعد هذه الثورة فى الجامعة وكيلاً لها ثم مديرًا وتقلد بعض المناصب الوزارية.

واختير عضوًا عاملاً بالمجمع سنة ١٩٤٠، وتولى رياسته سنة ١٩٤٥، وظل رئيسًا للمجمع حتى توفى فى سنة : ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م

قال الدكتور طه :

لقد كتبت فى الجريدة عدة مقالات دون أن أتقاضى عليها أجرًا، ولكن أخى أحمد حسين ذهب إلى دار الجريدة وطالب بمكافأة هذه المقالات فدفعوا له سبعة جنيهات، ولكنى بعد أن عرفت ذلك طلبت منهم ألا يدفعوا لأحد شيئًا.

وكان لطفى السيد من أنصار اللغة العامية وكتب فى الجريدة ينادى باستعمالها، وكان الفتى الأزهرى يرى غير ما يراه أستاذه، وصديقه، ولم يضق الأستاذ بمعارضة تلميذه وأفسح له صفحات الجريدة ينشر فيها آراءه وإن خالفت آراء أستاذه، وقال لى الدكتور طه حسين : ومن طريف ما أذكره أنى كتبت مرة مقالاً لا أذكره الآن - ويبدو من سياق الكلام أن الدكتور طه كان أستاذًا بالجامعة حين كتب هذا المقال - تحدثت فيه عن بعض المسائل الدينية، وكان لطفى السيد مريضًا، فلما قرأ هذا المقال أرسل إلى الدكتور محمد كامل حسين ليقول لى : يقول لك لطفى السيد : هل أسلمت؟ فقلت للدكتور كامل : بلغ لطفى قول الله تعالى : ﴿أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾، فقال الدكتور كامل : لا أستطيع أن أبلغه ذلك.

ولما قرر الشيخ حسونة النواوى طرد الطلاب الثلاثة : طه والزيات والزناتى من الأزهر لمعارضتهم رأى الفقهاء فى تكفير الحجاج، فقد أورد صاحب الكامل وهو من الكتب الأدبية التى قرأها العميد أكثر من مرة - أن الفقهاء حكموا على الحجاج بن يوسف بالكفر : لأنّه قال لما رأى المسلمين يطوفون بقبر الرسول : إنما يطوفون برمة وأعواد، وكان رأى

العميد أن الحجاج بما قاله قد أساء الأدب ولكنه لا يعد كافرًا». وقد نقل هذه العبارة مشوهة الناقمون من الطلاب على الزملاء الثلاثة إلى شيخ الأزهر، فأمر بطردهم، كما أمر الشيخ المرصفى أستاذ الأدب الذى كان يدرس الكامل بعدم تدريس هذا الكتاب.

لما حدث هذا يكتب الفتى مقالاً يهاجم فيه الشيخ حسونة هجوما عنيفًا. ويذهب به إلى لطفى السيد لنشره فى الجريدة، ويقول لطفى للفتى: هل تريد شتم الشيخ حسونة أو العودة إلى الأزهر، ويرد الفتى: لا مصلحة لى فى شتم الشيخ حسونة، وهنا يضع أستاذ الجيل مقال الفتى فى مكتبه، ويسعى لدى الشيخ حسونة للعفو عن الطلاب الثلاثة والسماح لهم بحضور حلقات الدروس فى الأزهر، ويصرح الشيخ حسونة للطفى السيد بأنّه لم يطرد الزملاء الثلاثة وإنما أراد تخويفهم فحسب.

وللدكتورة نعمات أحمد فؤاد كتاب تحت عنوان «قمم أدبية»، ويتضمن ترجمة لبعض أعلام الأدب والفكر المحدثين، وفى أثناء عرضها لتاريخ حياة لطفى السيد ذكرت أنّه سقط فى انتخابات سنة ١٩١٣، لأن الانجليز قد أوعزوا بسقوطه، ويقول الدكتور طه بعد أن قرأت له هذا: غير صحيح أن الإنجليز أوعزوا بسقوط لطفى السيد، ولكنه سقط لأن منافسه - ولا أذكر اسمه الآن - كان رجلاً ماكرًا، استغل سذاجة الناخبين وجهلهم فقال لهم: إن لطفى السيد ينادى بالديمقراطية ومعناها ان تتزوج المرأة أربعة رجال كما يتزوج الرجل أربع نساء، وقد اعتبر الناخبون هذا خروجًا على الدين، وأكد هذا لديهم أنهم عندما التقوا بلطفى السيد وسألوه هل ينادى حقا بالديمقراطية، فقال لهم: نعم، دون

أن يسألوه عن معنى الديمقراطية، فأيقنوا أن ما قاله خصمه صحيح ومن هنا سقط فى الانتخابات.

وجاء فى كتاب «قمم أدبية» أيضًا أن لطفى السيد دخل مجلس الشيوخ سنة ١٩٤١ فترك الجامعة، ويعقب الدكتور على هذا بقوله : إن لطفى أجبر على الاستقالة؛ لأن الملك كان يريد إرجاع الطلبة الذين فصلتهم الجامعة بسبب الغش، وقد عارض هذا لطفى السيد، فكلمه حسين سرى، وكان رئيسًا للوزراء وقال له : إن لدىَّ كُرسيًا فى مجلس الشيوخ لك. فقال لطفى : معنى هذا أن أستقيل، واستقال لطفى ودخل مجلس الشيوخ.

والعميد الجليل كان يعشق الأدب العربىَّ القديم ويكثر من قراءته، وفى ذات مساء كنت أقرأ له كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، الجزء الخاص بالغناء وأثره فى النفوس وكيف أن بعض الناس يبكون إذا طربوا، فقال العميد : لقد ذهبت مع لطفى السيد إلى منزل شقيقه سعيد لطفى لتناول العشاء عنده وبعد العشاء غنتنا أم كلثوم غناء خاصا غير مصحوب بآلات موسيقية وإذا بسعيد يبكى وهو يسمع أم كلثوم، ثم أردف العميد لقد سمعت أم كلثوم كثيرًا فى غناء خاص وأنا أحب سماعها بلا آلات موسيقية، وقال أيضًا : إن أم كلثوم كانت إذا لقيتنى تسلم على وتريد أن تقبل يدى فأقول لها : ياست؛ الرجال عليهم أن يقبلوا أيدى النساء لا العكس.

وجاء فى بعض الصحف اليومية حديث عن سعد زغلول وكفاحه الوطنى، فقال العميد : أذكر أن لطفى السيد وسعد زغلول كانا على

استعداد لقبول الحماية البريطانية فذهبت إلى لطفى أنا ومحمد حسين هيكل، فحدثنا فى هذا الأمر وطلب منا أن نهيئ الرأى العام لقبول هذه الحماية عن طريق الكتابة فى الصحف حول هذا الموضوع ، وهنا قال الدكتور هيكل للطفى السيد : هذا أمر لا تقبله إلا المُومسات، وكان وقع هذه الكلمة قاسيًا على لطفى، وغضب من هيكل واختلف معه وخاصمه، وحاولت بعد ذلك بأيام إصلاح الأمر بينهما بعد جهد جهيد.

وقلت يومًا للعميد : إن العلاقة بينك وبين لطفى كانت طيبة : قال : نعم، وكان الرجل بعد أن عملت بالجامعة وكان هو مديرًا لها لطيفًا معى غاية اللطف وتوثقت صلتنا جدا، أذكر أنّه حدث بينى وبينه خلاف فى مجلس الجامعة حول مجانية التعليم الجامعى لأبناء الأساتذة، وكان من رأيى أن هؤلاء الأبناء يجب أن يتعلموا دون مصاريف وخالفنى لطفى ولكنه قال : حينما يدخل مؤنس الجامعة سنمنحه مجانية، فقلت على الفور : أنا لا أقصد نفسى وإنما أريده مبدءًاعامًا. ثم أعلنت استقالتى من مجلس الجامعة. فجاءنى لطفى فى بيتى ومعه عبد الحميد بدوى، ورجانى أن أسحب استقالتى وقد استجبت له وسحبت الاستقالة.

ولما رفض الدكتور طه حسين – وكان عميدًا لكلية الآداب – منح الكلية درجة الدكتوراه الفخرية لبعض الساسة الذين أرادت الحكومة مجاملتهم لأهواء حزبية، وأصر على رفضه ولم يذعن لتعليمات وزير المعارف عيسى حلمى الذى قال عنه العميد إنّه حمار – لمّا حدث هذا صدر قرار بنقل الدكتور طه من عمادة كلية الآداب وخروجه من الجامعة، وإزاء هذا التصرف الذى كان انتهاكًا لحرمة الجامعة واستقلالها

قدم لطفى السيد استقالته من إدارة الجامعة احتجاجًا على تصرف الحكومة نحو الدكتور طه.

ومن طريف ما يرويه الدكتور طه عن علاقته بلطفى السيد أن عدلى طلب من لطفى السيد - وكان مديرًا لدار الكتب - أن يعد له خطبة سياسية، فأعدها لطفى، ثم فوجئ بعد ذلك بأن محمد محمود يريد خطبة هو الآخر، فما كان من لطفى إلا أن طلب الدكتور طه ورجاه أن يعد خطبة سياسية يقدمها لمحمد محمود لأنّه كتب خطبة لعدلى، ولا يدرى كيف يعد خطبة أخرى، ويقول الدكتور طه: وكتبت الخطبة وقدمتها إلى لطفى الذى قدمها بدوره إلى محمد محمود على أنها من عمل لطفى، وذهبت إلى الحفل الذى خطب فيه محمد محمود وسمعت الخطبة التى أعددتها.

ويذكر الدكتور طه أن الملك فؤاد قال لبعض أفراد حاشيته - وهو عائد من الخارج - سأغيظ لكم لطفى السيد - وكانت العلاقة بينهما غير مستقرة، فقال بعضهم: ماذا ستفعل له، قال الملك: سترون، وبعد أيام فوجئ الناس بالملك ينعم بالباشوية على الدكتور على إبراهيم، وكان وكيلًا للجامعة على حين أن لطفى وهو مدير الجامعة كان يحمل فقط رتبة البكوية، وضحك الدكتور طه ثم قال: ومنح لطفى الباشوية بعد ذلك من الملك فؤاد وأخذت معه فى نفس اليوم رتبة البكوية.

وطلب منى يومًا العميد أن أشعل له سيجارة، ثم قال: رحم الله لطفى السيد، فقد ظل يشرب الدخان إلى أن بلغ الخامسة والعشرين، وبعد زواجه حاولت زوجته أن تمنعه عن التدخين، فاستجاب لها وأخذ يشرب الشيشة علّه ينسى الدخان، كذلك حاول نسيان الدخان بتناول

بعض الحلوى ولكنه مع هذا عاد إلى التدخين، وكان سبب شربه الدخان أنّه حين زار جمال الدين الأفغانى فى استانبول قدم إليه جمال الدين سيجارة ولما اعتذر لطفى قال له جمال الدين : اشرب فإن ظهور الدخان ساعد على تطور الحضارة، وأخذ لطفى سيجارة جمال الدين ويبدو أنها كانت أول سيجارة فى حياة لطفى السيد.

ومما يرويه العميد عن لطفى السيد : أن الشيخ البشرى كان يعمل فى مكتب لطفى فى الوزارة، وفى يوم انفرطت حبات مسبحة لطفى فطلب من البشرى أن يجمع حبات المسبحة وينسقها سليمة، وقد طمع بعد ذلك أحد الوزراء فيها فأخذها، فطلب لطفى من البشرى أن يبحث له عن مسبحة أخرى، فاشترى البشرى المسبحة الجديدة، وفى يوم كان لطفى فى مكتبه بالوزارة وكان البشرى يسير بجواره فالتفت لطفى إلى البشرى وقال له : هل يمكن أن تعرفنى ما هو عملك فى هذا المكتب؟ فقال الشيخ البشرى على الفور: الضم سبح يا افندم.

وجملة القول أن العميد يرى أن لطفى السيد من أحسن المثقفين فى عصره، لأنه اطلع على الآداب الأجنبية اطلاعًا جيدًا وترجم بعض كتب أرسططاليس إلى اللغة العربية، وكان خير من أذاع الثقافة الحرة فى مصر، وكان لا يؤمن بسيادة تركيا على مصر بخلاف مصطفى كامل، وقد كتب مقالات كثيرة يطالب فيها باستقلال مصر، وعدم تبعيتها لتركيا، وقد غضب منه الناس بسبب ذلك إلى حد أنهم رموه بالحجارة فى مكتبه.

وفضلاً عن هذا كان من أشد الناس مطالبة بالدستور لتحكم البلاد حكمًا ديمقراطيا، وكان العميد من أشد الناس إعانة له على هذا على حد قوله.

توفيق الحكيم[1]

قال عميد الأدب العربى : لقد كنت سببًا فى شهرة الأستاذ توفيق الحكيم، وجذْب الأنظار إليه واهتمام الناس به، فقد كتبت عن مسرحيته « أهل الكهف » مقالاً أشرت فيه إلى أن هذه المسرحية عمل فريد وجديد فى تاريخنا الأدبى، وكنت قبل قراءة هذه المسرحية لا أعرف شيئًا عن الاستاذ الحكيم، وقد أحضرها لى الدكتور محمد كامل حسين والأستاذ حسين محمود، وطلبا منى قراءتها ونقدها، وقد أعجبت بالمسرحية، كل الإعجاب، وكتبت عنها كلمة أشدت فيها بالمسرحية وكاتبها. وبعد نشر

---

(١) توفيق الحكيم أديب كبير، ورائد من رواد المسرحية فى الأدب العربى الحديث ولد بالإسكندرية سنة : ١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢م، وتلقى دراسته الابتدائية بدمنهور والثانوية بالإسكندرية، وعمل بعد تخرجه فى مدرسة الحقوق وكيلاً للنائب العام فى الأرياف مدة خمس سنوات، ثم عمل مديرًا للتحقيقات بوزارة المعارف ومديرًا للإرشاد بوزارة الشئون، ثم ترك العمل الحكومى ليتفرغ للعمل الأدبى، غير أنه عاد بعد فترة للعمل الحكومى، فعين مديرًا عامًا لدار الكتب المصرية، ثم عضوًا متفرغًا بالمجلس الأعلى للفنون والآداب، وقد انتخب عضوًا بمجمع اللغة العربية سنة : ١٩٥٤م

ويشمل نشاط الأستاذ الحكيم مختلف الأنواع الأدبية فى الرواية والقصة القصيرة والمسرحية وله مؤلفات كثيرة ترجم بعضها إلى عدة لغات. توفى سنة : ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م

هذه الكلمة بعث إلى الاستاذ الحكيم برقية شكر من دمنهور حيث كان يعمل فى النيابة هناك.

وصمت عميد الأدب العربى برهة ثم قال:

ولكن الأستاذ الحكيم غضب منى لأنى كتبت عن «شهر زاد» وقلت إن الأستاذ توفيق فى حاجة إلى مزيد من القراءة الفلسفية، فقد أرسل إلى خطابًا يشتمنى فيه ويقول بأنه قرأ فى الفلسفة أكثر مما قرأت، وأنّه ليس فى حاجة إلى نصائحى، ومن يومها نسى الأستاذ توفيق كل شىء ولا يجامل فى أية مناسبة.

ويبدو أن الجفوة التى أحدثتها رسالة الأستاذ الحكيم بين الكاتبين الكبيرين لم تستمر طويلاً، وأن العلاقة الطيبة بينهما قد توثقت، وبلغت درجة الصداقة المتينة، بدليل هذا الكتاب الذى يعد نوعًا من المزاح بينهما، وهو كتاب القصر المسحور، وبدليل ما قاله العميد: إن الاستاذ توفيق كان كثيرًا ما يستقبلنى عند عودتى من أوروبا فى الإسكندرية، ويعزمنى على الغداء، وبدليل تلك الرسائل العديدة التى كان يرسلها العميد إلى الأستاذ الحكيم مخاطبًا إياه صديقى العزيز أو أخى العزيز، وكلا التعبيرين يوحى بمودة عميقة خالصة يؤكدها ما كان يختم به الدكتور طه حسين رسائله بقوله غالبًا: وتقبل منا جميعًا أصدق التحية وأخلص الود.

وفى سنة ١٩٥٤ ينتخب الأستاذ الحكيم عضوًا عاملاً بالمجمع اللغوى ويتولى صديقه العميد استقباله، فيقول عنه:

قد شرفت بتقديمك إلى جمهور القراء حين ظهور أول كتاب لك، وأنا

أشرف الآن بفضل الزملاء باستقبالك فى المجمع، فهذا الشرف المضاعف هو هذا الدين لا أدرى كيف أؤديه إليك، وما أرى إلا أنّك قد أحسست شيئًا عظيمًا من خيبة الأمل لأنه دين لا يجدى ولا يغنى ولا يفيد.

ثم يقول: لأول مرة إذن ظهر بيننا كاتب يحاول أن ينشئ فن التمثيل باللغة العربية، ولا يترجم، ولا يقلد فيه، ولا يتكلف فيه ما كان يتكلف الكتاب الذين كانوا يحاولون أن ينتجوا فى التمثيل.

ويشير العميد إلى بخل الحكيم قائلاً:

لا يتحدث الناس عنك إلا بأنّك بخيل أشد البخل، متهالك على المال أكثر مما كان يتهالك عليه بخلاء الجاحظ، لا يذكر بالقياس إليك سهل بن هرون، ولا الكندى، ولا ابن المؤمل، ولا غير هؤلاء من الذين تحدث عنهم الجاحظ فى بخلهم وحرصهم وتهالكهم على المال، ولا تكاد تجلس فى مجلس إلا أخذ أصحابك يجادلونك فى البخل والجود وفى الحرص والانفاق وفى السماحة والكزازة، والطريف أنّك ترضى عن هذا كل الرضا وتحاول أن تضيف إلى نفسك من هذا البخل ألوانًا وأشكالاً ما أعرف أن شيئًا منها يتصل بنفسك حقًا.

وفى ختام كلمة العميد يتحدث فى إيجاز عن منزلة صديقه الأدبية فيقول:

أنت كاتب نابه ما فى ذلك شك، بل أنت كاتب نابغة ما فى ذلك شك، لا يجادل فى ذلك إلا الحمقى، قد اجتمع الناس على إكبار فنك، واجتمع على إكبار فنك النقاد منهم وغير النقاد، واجتمع على إكبار فنك الذين يلتمسون الظهر فى الساعة الرابعة عشرة من النقاد مثلى، والذين

يقبلون كل ما يلقى إليهم من عامة الناس.

وقال الدكتور طه:

لقد شكرنى الأستاذ الحكيم على الكلمة التى استقبلته بها فى المجمع غير أنّه قال لى إنك حين تنفى تهمة البخل عنى ستطمع الناس فيّ.. وكانت نكتة ضحكنا لها.

وتمر الأيام ويصبح العميد رئيسًا للمجمع اللغوى، ويصر على الرغم من مرضه على حضور جلسات المجمع وحين اشتد به المرض فى أيامه الأخيره، وحال بينه وبين حضور بعض الجلسات قال لى يجب أن أستقيل من رئاسة المجمع ما دمت لا أقدر على حضور جلساته، وأنا لا أقبل أن أحصل على راتب دون عمل أقوم به، وأعجب لبعض زملائنا - وعلى رأسهم الأستاذ توفيق الحكيم - كيف يستبيحون لأنفسهم مكافأة المجمع وليس لهم إسهام فى أعماله، فالأستاذ الحكيم لا يحضر جلسات المجمع، ومع هذا يحصل على المكافأة كاملة ولو كان له عذر فى تخلفه لما عتبت عليه.

ولم يكن عتاب الدكتور طه مقصورًا على عدم حضور الأستاذ الحكيم جلسات المجمع، فقد تَعَدّاه إلى تقصير الأستاذ الحكيم فى حق صديقه، لأنّه ما كان يزوره أو يجامله وبخاصة حين أقعد المرض العميد عن الحركة، وكان يرى فى تصرف الأستاذ توفيق نكرانًا للجميل وهو شيء فظيع على حد قول العميد.

ومع هذا العتاب كان يحرص على ألا يغضب منه الأستاذ توفيق، فقد نشر الملحق الأدبى للأخبار فى يوم الأحد الموافق ١٩٦٩/١٢/٧ نص

الحديث الذى دار بين الدكتور ووفد من الأدباء، وجاء فى هذا الحديث كلام عن بخل الأستاذ الحكيم، قاله الدكتور طه : بيد أنّه قال لى بعد أن انتهيت من قراءة الحديث : لم يكن هناك داع لنشر ما جاء عن الأستاذ الحكيم وبخله لأنّه سيزعل منى.

وقد كان ما توقعه العميد، وذلك لأنّه فى يوم الخميس الموافق ١٩٦٩/١٢/٢ زاره الأستاذ ثروت أباظه - وهو من الذين كانوا يحافظون على زيارة الدكتور كثيرًا، وذكر أن الأستاذ توفيق الحكيم حدثه فيما نشر على لسان الدكتور وفيه اتهام للأستاذ توفيق بالبخل، وقال الأستاذ ثروت : إنّه قال للأستاذ الحكيم إن الدكتور طه لم يقل هذا، ولكن الحقيقة أن ما نشر بملحق الأخبار صحيح كل الصحة.

وأذكر أنى كنت أقرأ للدكتور كتاب محمد رسول الله للمرحوم أحمد تيمور - وهو كتاب لم يعجب الدكتور فهو فى مستوى طلاب المدارس الثانوية وقد أجمل تاريخ الرسول ﷺ إجمالاً مخلا، غير أن هذا الكتاب دفع الدكتور للحديث عن الكتب التى ألفت عن محمد بالعربية وغيرها، فلما جاء ذكر كتاب محمد للأستاذ الحكيم قال عنه الدكتور: إنّه كتاب سخيف.

وفى مساء الجمعة الموافق ١٩٧٠/١٠/٢ زار الدكتور الشيخ محمود أبو رية - وهو من الذين كانت علاقتهم بالعميد وطيدة وكان الشيخ أبو رية يزور العميد مساء كل جمعة غالبًا - ودار بين الشيخ والعميد حديث تناول بعض القضايا الأدبية المعاصرة، وكان من رأى الشيخ أبو رية أن الأدب العربى الآن فقد ديباجته المشرقة وصياغته القوية، وأن

مثل الأستاذ الحكيم ونجيب محفوظ لا يعدان من الأدباء فى نظره، وقد قال الدكتور: أوافقك يا سى الشيخ بالنسبة لتوفيق الحكيم، أما بالنسبة لنجيب محفوظ فلا.

وسئل العميد عن مسرح الجيب فقال: إنه كلام فارغ وإن ما يكتبه الأستاذ الحكيم لا يعجبنى لأنه لا يقدم فرضًا فلسفيا كما يفعل بيكت أو يونسكو.

ويموت عميد الأدب العربى فيرثيه صديقه الحكيم بالكلمة التالية:

فجيعة كبيرة..

فجيعة الأدب العربى فى عميده العظيم، وفجيعتى أكبر فى أخ قديم كريم، وإذا كان اللسان العربى منذ نطق أدبًا سوف ينطق إلى آخر الدهر باسم طه حسين وفضله على لغة العرب فإن لسان القلب لن يكف عن ترديد ذكراه ما بقيت على قيد الحياة. فقد جمعتنا أجمل أيام العمر، كما جمعنا الفكر على صفحات كتاب.

إنّك أيها الصديق العزيز إذ تعبر اليوم الدار الفانية إلى الدار الباقية، إنما تعبرها بنفس مطمئنة راضية بعد أن عبرت بلادك الهزيمة، إن روحك العظيمة لم تشأ أن تفارق جسدك إلا بعد أن فارق اليأس روح مصر.

اللهم اغفر برحمتك الواسعة ابنًا لمصر من أعظم أبنائها الذين أدوا لها من الخدمات ما سيبقى منقوشًا فى سجل الخلود..

جمال عبد الناصر [1]

قامت ثورة ٢٣ يوليو ولم يكن عميد الأدب العربى فى مصر، فقد كان فى رحلته الصيفية بإيطاليا، وما كادت تصل إلى سمعه أخبار هذه الثورة حتى كتب إلى صديقه الأستاذ توفيق الحكيم قائلاً : كم كنت أحب أن أكون معك فى مصر، أو أن تكون معى فى أوربا أثناء هذه الأيام التى تنشر فيها مصر من تاريخها كتابًا وتطوى كتابًا، ثم يقول فى هذه الرسالة أيضًا : ويخيل إلى أن للأدب حقه فى هذه الثورة الرائعة، هيأ لها قبل أن تكون وسيصورها بعد أن كانت.

وأعتقد أن الأمر لو كان بيد العميد لأسرع عائدًا إلى القاهرة غير عابئ بحرها الشديد الذى كان يضيق به أشد الضيق، ولكن الأمر كان بيد زوجه، فهى التى كانت تنظم مواعيد السفر والعودة، وأماكن الإقامة

---

(١) ولد جمال عبد الناصر سنة : ١٣٣٦ هـ - ١٩١٨ بقرية بنى مر بمحافظة أسيوط وتخرج فى الكلية الحربية سنة ١٩٣٨ م ودرس بها وشارك فى حرب فلسطين، وكان من الضباط الأحرار الذين قاموا بثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ، تولى رئاسة الجمهورية سنة ١٩٥٦ ، وفى عهده تم تأميم قناة السويس، وقيام الوحدة بين مصر وسوريا سنة ١٩٥٨ وإن لم تستمر سوى ثلاث سنوات كما تم بناء السد العالى. توفى سنة : ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م.

وسوى ذلك من شئون رحلة الصيف، وما كان العميد يناقش أو يعترض.

وقال عميد الأدب العربي: كان جمال عبد الناصر يعرف كامل الشناوى وقد قال له: أحب أن أرى الدكتور طه حسين، واتصل بى كامل الشناوى وكان ذلك بعد عودتى من أوربا.

وذهبت بعد ذلك إلى لقاء عبد الناصر فى مجلس قيادة الثورة، وكان مما حدثنى به فى هذا اللقاء أنّه كان يقرأ لى وهو طالب مقالاتى التى كان عنوانها كلمة واحدة، وأنه كان يحتفظ بالقرش الذى كان يأخذه من والده ليشترى الصحيفة التى ينشر فيها المقال.

ويقول العميد: وتعددت لقاءاتنا وكان بعضها فى بيته الخاص وكان اللقاء الواحد يستمر أكثر من ساعة أحيانًا، وفى أول لقاء معه فى منزله أخذ الرئيس جمال يصف لى مقاعد حجرة الاستقبال ثم قال لى: حتى لا تصدق ما يُقال من أنى نقلت حجرة صالون عابدين إلى بيتى.

وفى لقاء آخر بمجلس قيادة الثورة جرى بينى وبين الرئيس جمال حديث حول قضية الأسلحة الفاسدة وأن المحكمة قد برأت المتهمين، وقال لى عبد الناصر: إذن يجب أن نقتل فى ميدان عابدين، فقلت للرئيس: إن هذا الحكم يدل على أنكم تركتم القضاء حرًا دون تأثير عليه، وهذا أمر يُحمدَ لكم، فرد الرئيس: قل هذا لمحمد نجيب أما أنا فلا.

ولما ألغت الدولة القضاء الشرعى كتب الدكتور طه حسين فى جريدة الجمهورية مقالة تحت عنوان: «الخطوة الثانية» طالب فيها بالقضاء على ثنائية التعليم عن طريق تطوير الأزهر، وتوحيد التعليم فى المرحلتين

الإعدادية والثانوية، وأثار هذا المقال الأزهريين وبعض المسئولين، واتهم الدكتور بخدمة الفكر الاستعمارى ومعاداة الإسلام، ويقول الدكتور طه : أذكر أنى كنت فى حفل حضره الرئيس جمال وكنت أجلس بجواره فقال لى : ما رأيك فى الأزهر، إن الدول الاسلامية بدأت تنصرف عنه ولا ترسل أبناءها إليه، فقلت للرئيس : لقد طالبت بتطوير الأزهر ليساير الحياة، فاتهمنى بعض المسئولين بخدمة الاستعمار ومنهم الأستاذ إبراهيم الطحاوى، فقال الرئيس : دعْك مما كتب الأستاذ الطحاوى، وأحب أن أعرف رأيك فى إصلاح الأزهر، وقال الدكتور طه : وحدثت الرئيس فى إيجاز عن رأيى الذى نشرته فى الجمهورية، وصدر بعد ذلك قانون تطوير الأزهر وجعله جامعة، وأنا لا أوافق على أن يكون الأزهر جامعة كغيره من الجامعات، وكان الأولى أن يظل الأزهر يؤدى رسالته فى خدمة الفكر الإسلامى واللغة العربية - دون أن يهتم بسوى ذلك من العلم - وأنا لا أفهم معنى لإنشاء كلية للطب وأخرى للهندسة أو الزراعة فى الأزهر.

وقال الدكتور عن علاقته بالرئيس جمال : كانت الثورة تعتقل بعض الناس فقلت للرئيس جمال يومًا : ما ذنب الأسر حين تعتقلون المنفق عليها، فقال لى : اطمئن، إذا اعتقلنا شخصًا وكان موظفًا فإن أسرته تأخذ راتبه وإذا لم يكن موظفًا طلبت من الأوقاف أن تدبر له ما يكفى أسرته كل شهر.

وفى سنة ١٩٦٥ يصدر الرئيس جمال قرارًا بمنح الدكتور طه قلادة النيل، وهى أرفع وسام فى مصر، ولم يستطع الدكتور حضور حفل عيد العلم الذى وزعت فيه الجوائز والأوسمة بسبب ظروفه الصحية، وقد طلب منى أن أرسل إلى الرئيس البرقية التالية :

السيد رئيس الجمهورية

أرجو أن يتفضل السيد الرئيس فيقبل أصدق شكرى وأعمق حبى وأخلص دعائى لسيادتكم بالنجاح والتوفيق والسعادة.

(طه حسين)

وأحضر القلادة إلى الدكتور كبير الأمناء وجرى حفل بسيط فى منزل العميد سلمت فيه القلادة، وقال الدكتور طه لقد كان عبد الناصر صديقًا حميمًا لى، والرجل أخلص لبلاده وجاهد من أجل حريتها واستقلالها، ولا يؤخذ عليه إلا أنه كان مستبدًا برأيه، ولم يتح الفرصة لأحد يمكن أن يملأ فراغه

وفى الساعة السادسة والربع من مساء الأثنين الموافق ١٩٧٠/٩/٢٨ مات جمال عبد الناصر، وفى اليوم التالى توقفت المواصلات فى معظم شوارع القاهرة، بسبب الجماهير الغفيرة التى خرجت مذهولة لا تصدق النبأ، وأدركت أن الأستاذ روفائيل - وهو أحد الذين عملوا مع العميد بعد أن تركه الأستاذ فريد شحاته - لن يتمكن من الذهاب إلى الدكتور؛ لأنّه كان يسكن فى ضاحية مصر الجديدة، ومن ثم اتصلت هاتفيا برامتان، وطلب منى العميد أن أذهب إليه فى الخامسة والنصف مساء، ولما دخلت عليه فى هذا الموعد ألفيته واجمًا يلبس رباط عنق أسود وكانت أول كلمة قالها لى: أعظم الله أجرك، لقد روعت بنبأ وفاة الرئيس ولم أعرف هذا إلا فى صباح اليوم، وكل ما أرجوه أن يقى الله الأمة شر الخلاف والصراع من أجل الحكم، فالبلاد تمر بمرحلة دقيقة فى حياتها، وفى أشد الحاجة إلى الترابط والتكتل، لقد كان عبد الناصر رمزاً لوحدة

الأمة ونضالها من أجل نيل حقوقها، ثم قال إن الإرهاق الشديد كان من أسباب وفاة عبد الناصر، ولكلّ أجل كتاب، والرجل آلمه أبلغ الألم أحداث الأردن الأخيرة، وكان سعيه الدائب لوقف المذبحة الرهيبة هو الذى أدى به إلى هذه النهاية.

وفى يوم الأثنين الموافق ١٩٧٠/١٠/٥ عقد المجمع اللغوى جلسته الأولى فى دورته السابعة والثلاثين ورأسها الدكتور طه حسين، وقد استهلّها بالكلمة التالية :

أيها الزملاء الأعزاء :

يؤسفنى أشد الأسف أن أبدأ هذه الجلسة الأولى من دورة جديدة لمجمعنا بما لا يلائم افتتاح هذه الدورة من الحزن والأسى واللوعة، وكلكم فيما أعتقد يجد فى نفسه شيئًا من هذه الآلام ومن الحزن والأسى واللوعة، لهذا النبأ الفظيع الذى فاجأنا فنغّص حياتنا تنغيصًا لا نعرف له مثيلاً، لقد كنا نرجو، بل كنا نثق بأن الرئيس جمال عبد الناصر سيمد له فى الأجل لتحقيق أهداف الوطن، وهى مهمة لم تتحْ لأحد من قبل، وقد حاول موفقًا إلى أبعد الحدود إلغاء الطبقات والأخذ بيد الضعفاء والفقراء، وتحقيق المساواة الكاملة بين المواطنين، وحاول شيئًا ما أظنه حوول من قبله وهو أن يلائم بين الاشتراكية والديانات السماوية، فأدخل فى هذه البلاد اشتراكية لا تمس الإسلام ولا المسيحية ولا غيرها من الأديان السماوية بأذى ولو من بعيد، فالاشتراكية تمس نظام الحياة المالية والإدارية والإسلام بنوع خاص لا يريد إلا العدل فى كل هذه الأشياء.

وأشهد أنى عرفت الرئيس عبد الناصر منذ أوائل الثورة، واتصلت بينه

وبينى مودة كانت فى غاية الإخاء وفى غاية المتانة. وله سى فضل لا أنساه، فهو قد تفضل ذات يوم وفاجأنى بأن أهدى إلى قلادة النيل، ولم يكن إهداء هذه القلادة للأفراد والمواطنين مألوفًا من قبل إلا إذا نهضوا بمنصب رئيس الوزارة، وقد حدثته مرة فى الذين يعتقلون وتتعرض أسرهم لحياة عسرة فقال لى: اطمئن إذا كان المعتقل موظفًا فمرتبه يصرف لأسرته دائمًا، وإذا لم يكن موظفًا فوزارة الأوقاف تكفل أسرته حتى تتاح له الحرية، وما أرسلت إليه برقية بتحية أو تهنئة إلا رد عليها بخير منها، فكان صديقًا صادقًا وأخًا حميمًا، وكان بَرًّا عطوفًا على كل المواطنين.

وهذه كلها أخلاق قلما عرفناها فى الذين ينهضون بالحكم، ثم يكفى أن الرئيس جمال عبد الناصر قاد الحرب ضد إنجلترا وفرنسا وإسرائيل فى سنة ١٩٥٦، ولا أنسى له خطبته فى الأزهر الشريف التى كرر فيها كثيرًا هذه الجملة «سنقاتل ولن نستسلم»، والواقع أنّه لم يعرف الاستسلام ولم يقبله فى يوم من الأيام.

وعندما أصابتنا كارثة النكسة سنة ١٩٦٧ ثبت لها ثبوت الرجل الذى يعرف حق الشعب عليه، وحق الوطن على الشعب، كل هذا وكثير غيره من الأخلاق الكريمة الرصينة يذكرنا بهذا الرجل الذى فقدناه فجأة فذهب ضحية العمل والجهاد فى سبيل الوطن وفى سبيل العروبة.

كل هذا أظنكم تذكرونه وستذكرونه كما أذكره ما بقينا، وهذا أعظم وأثمن شيء يمكن أن نعمله لنسجل ونخلد حياة هذا الرجل الذى يستحق الخلود.

ومع الأسف الشديد أختم هذه الكلمة، ولو أتيح لى الوقت لأطلت

وأطلت وأطلت ولكنى أقف عند هذا.. وأظن أنكم توافقون على وقف الجلسة دقائق حدادًا عليه.

(فأوقفت الجلسة)

وقد نشرت هذه الكلمة فى اليوم التالى بصحيفة الأهرام، ولكن بعد حذف الجزء الذى أشار فيه الدكتور إلى المعتقلين، كذلك لم يكن صحيحًا أن عميد الأدب العربى أصيب بالإغماء وهو يرثى عبد الناصر كما نشرت الأهرام.

وفى يوم الجمعة الموافق ١٦/١٠/١٩٧٠ كتب الأستاذ محمد حسنين هيكل فى الأهرام مقالة بعنوان «الأربع والعشرون ساعة الأخيرة» تحدث فيها عن اليوم الأخير فى حياة عبدالناصر، وسرد فى هذه المقالة الأحداث التى وقعت له، واهتم بتلك اللحظات التى مر بها عبد الناصر منذ انتهى من توديع أمير الكويت حتى أسلم الروح.

وختم الأستاذ هيكل مقالته بقوله: وكان جمال عبد الناصر فى حياته أكبر من الحياة وكان جمال عبد الناصر بعد رحيله أكبر من الموت.

وقال الدكتور بعد قراءة هذه المقالة: إنها مقالة مؤثرة جدًا وكذلك المقالة التى كتبها فى الأسبوع الماضى تحت عنوان «الصراع مع الألم»، ولكنه أضاف إلى هذا: ولا عيب على تلك المقالة سوى ما جاء فى ختامها، فالجملة التى انتهت بها المقالة سخيفة جدًا.

فقلت له: لعل الأستاذ هيكل يعنى أن جمال عبد الناصر بأمجاده وجهاده حى بيننا ولن ننساه فهو أكبر من الموت لهذا..

وصمت الدكتور دون تعقيب...

حافظ إبراهيم[1]

كانت العلاقة بين حافظ والعميد على عكس ما كانت عليه بينه وبين شوقي، ويمكن القول بأن العميد كان يحب حافظًا ويقدر شعره، ولا يعنف عليه في النقد، قال العميد: إن حافظًا كان يقرأ علي كثيرًا من قصائده قبل نشرها، وأذكر أنّه زارني في مصر الجديدة ومعه شخصان أحدهما الشاعر محمد الهراوي، والآخر لا أذكر اسمه الآن، وبعد أن قرأ علي قصيدة قد أعدّها للنشر قلت له: كويسة يا حافظ، فقال: أشهدا عليه حتى لا ينقدها بعد ذلك.

وقد أنشدنا حافظ يومًا في جمع من الأدباء والساسة قصيدة مطلعها:

قد مر عام يا أميم وعام وابن الكنانة في حماه يضام

---

(١) شاعر معاصر لقب بشاعر النيل أو شاعر الشعب، ولد سنة: ١٨٧١م اشتغل محاميا فترة، ثم التحق بالمدرسة الحربية، فتخرج فيها سنة ١٨٩١م وعمل بالسودان ولكنه أحيل إلى التقاعد لأنه اتهم بالتآمر ضد الإنجليز ثم عمل بالصحافة وعين رئيسا للقسم الأدبي بدار الكتب سنة ١٩١٠م وظل بهذه الدار إلى قبيل وفاته. كان قوي الحافظة راوية مرحا حاضر النكتة، بديع الالقاء كريم اليد، له ديوان في مجلدين، والبؤساء مترجم، وبعض الدراسات الاقتصادية. توفي بالقاهرة سنة ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

وكانت القصيدة نقدًا لاذعًا للحياة السياسية فى البلاد، فقلت لحافظ أمام محمد محمود: لماذا لا تنشر هذه القصيدة؟ فقال: لا أحب أن أحال على المعاش.

وقال العميد بمناسبة الحديث عن الترجمة:

إن حافظًا حين كان يعمل فى دار الكتب، فإنّه كان يترك مكتبه ويجلس فى قهوة مجاورة للدار، ويحضر إليه خليل مطران ويجلسان معاً يترجمان الكتب من الفرنسية إلى العربية، ثم قال:

لقد قاسى حافظ كثيرًا فى حياته وكان الإمام محمد عبده يعطف عليه، ويعطيه كل شهر مبلغًا من المال، كما كان يعطف عليه كذلك سعد زغلول، ومما يروى عن حافظ أنّه كان يسير فى حى السيدة وتقدم منه سائل، فأخرج من جيبه نقودًا وأعطاه، وبعد لحظة جاء السائل يهرول خلف حافظ ليقول: ياسعادة البيه أنت أعطيتنى جنيهًا ذهبًا، فما كان من حافظ إلا أن قال له: نعم هو لك، ولما لا مه بعض رفاقه قال لهم: إنى قبل قليل أخذت من الشيخ محمد عبده عشرة جنيهات فلماذا لا أعطى هذا السائل منها جنيهًا.

وكان حافظ إبراهيم من أعلام الفكاهة فى عصره، ومما يرويه العميد من نكات حافظ أن البشرى وحافظًا دعيا إلى وليمة وقُدِّم فيها السمك، وبعد انتهاء الأكل نظر حافظ إلى الأطباق على المائدة، فرأى كل طبق به بقايا عظم السمك إلا طبق البشرى، فقد كان خاليًا من العظم، فقال حافظ للبشرى: يا بن الكلب أكلت العظم مع اللحم، أنت فاكر أنه سمك بناتى..

حفنى ناصف(١)

قال عميد الأدب العربى :

إنّنا فى الجامعة لم ننتفع فى دروس الأدب العربى إلا بمحاضرات نلينو(٢) والمرحوم حفنى ناصف، وكذلك انتفعنا جدًا بمحاضرات سانتلانا(٣).

إن حفنى ناصف كان رجلاً متواضعًا، فهو أستاذ أجله كل الإجلال وأعترف بفضله الكبير علىّ، وكان بالاضافة إلى تدريسه فى الجامعة قاضيًا بمحكمة طنطا، وأذكر من صور تواضعه وكرم خلقه أن الجريدة كانت قد نظمت مسابقة أدبية وجعلتنى وحفنى ناصف حَكَمَين فى هذه المسابقة،

---

(١) حفنى ناصف، قاض وأديب وشاعر، ولد سنة : ١٢٧٢هـ - ١٨٥٦م تعلم بالأزهر وتقلب فى مناصب التعليم، ثم فى مناصب القضاء، وعين أخيرًا مفتشًا أول للغة العربية بوزارة المعارف، له عدة مؤلفات فى تاريخ الأدب ولغة العرب. توفى سنة : ١٣٣٨هـ - ١٩١٩م

(٢) مستشرق إيطالى كبير، كان غزير العلم بالجغرافية والفلك عند العرب، ودرس فى الجامعة القديمة ثلاث سنوات ١٩٠٩ - ١٩١٢ - عين عضوًا بمجمع اللغة العربية واشترك فى معظم لجانه وله مؤلفات وأبحاث عديدة.

(٣) مستشرق إيطالى، واهتم بدراسة الفقه الإسلامى وبخاصة المذهب المالكى وترجم بعض كتبه إلى الإيطالية، ودرس الفلسفة الإسلامية فى الجامعة الأهلية وله فيها محاضرات نفيسة.

وفى يوم كنت فى مسكنى مع أخى أحمد فى درب الجماميز وكنا نسكن فى الدور السادس، وكنت أجلس فى السطوح ومعى صديقاى أحمد حسن الزيات ومحمود زناتى وإذا بحفنى ناصف قادم إلينا، وتجشم متاعب الصعود إلى السطوح مع كبر سنه، ولما شكرت له زيارتى فى هذا المسكن الذى يرهق من يأتى إليه قال لى : إنّنى لم أشأ أن أتعبك وأضيع وقتك، فحضرت إليك ومعى نصوص المسابقة لننظر فيها ونحكم عليها، فكررت شكرى الجزيل على هذا وذاك.

فقلت للعميد : إن دل هذا على تواضع حفنى ناصف وتقديره لكم وحرصه على راحتكم ووقتكم فإن اختيار الجريدة لكم مع هذا الأستاذ الكريم يدل على أنكم قد بلغتم شأوًا طيبًا فى مجال الحياة الأدبية وأنتم ما زلتم فى مرحلة الدراسة؟

فقال : لقد كتبت فى الجريدة فترة طويلة، كتبت فيها نثرًا وشعرًا كما كتبت فى غيرها من الصحف والمجلات مثل اللواء والهداية، وذلك كله قبل سفرى إلى فرنسا.

وسألت العميد : هل جمعتم ما كتبتم قبل سفركم إلى فرنسا؟ فقال : لا وهو شىء كثير، ويكفى أن ما كتبته شعرًا يصلح أن يكون ديوانًا ولكنى غير راض عنه، ولا أذكر أنى بعد عودتى من البعثة قد قلت شعرًا فقد تركته للشعراء.

أما ماكتبته نثرًا فهو يبلغ أكثر من مجلد.

زكى مبارك[1]

فى نحو الساعة العاشرة والنصف من صباح الأربعاء الموافق ١٩٧٢/٢/٢ ذهبت إلى منزل العميد، فقال لى : سنخرج اليوم، وركبنا السيارة، واتجهت بنا نحو القناطر الخيرية، وكنت أقرأ له الصحف فى الطريق أحيانًا، وأحيانًا أخرى نتحدث فى بعض المسائل السياسية أو الأدبية، ولما تجاوزنا القناطر ودخلنا سنتريس، قلت للعميد : نحن الآن فى سنتريس، فقال : بلد زكى مبارك، لقد كان بينى وبينه خلاف أو نفار، ولكن الدكتور أحمد أمين أصلح بيننا فرضيت عنه، فقلت له : يقال : إنكم السبب فى خروج زكى مبارك من الجامعة، فقال : هذا غير صحيح ولكن خروج زكى مبارك يرجع إلى سلوكه الشخصى، فقد كان هذا السلوك يتنافى مع كرامة أستاذ الجامعة، فمثلاً ذكر لى فؤاد سراج الدين أنّه كان ينجح فى الامتحان حين كان يدرس بكلية الآداب قبل أن يتلقى

---

(١) زكى مبارك أديب من كبار الكتاب المعاصرين، ولد بقرية سنتريس سنة : ١٣٠٨ هـ - ١٨٩١ وتعلم فى الأزهر، وحصل على الدكتوراه من الجامعة المصرية، وسافر إلى فرنسا ثم عاد ليعمل بالجامعة، وانتدب للعمل مدرسًا فى بغداد كذلك، عين مفتشا بوزارة المعارف المصرية، له مؤلفات كثيرة فى الأدب والنقد والتاريخ، وله شعر فى بعضه جودة وتجديد. توفى بالقاهرة سنة : ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢م

دروس كلية الحقوق - فقد كان النظام فى ذلك الحين يفرض أن يدرس طلبة الحقوق فى كلية الآداب بعض المناهج فى اللغة والأدب قبل دراسة علوم الحقوق - ذكر لى فؤاد أنه كان لا يذاكر علوم الآداب، وكان يعطى لزكى مبارك زجاجة كولونيا فينجح فى الامتحان.

فقلت للعميد :

وما رأيكم فيما يذهب إليه البعض من أنكم عملتم على إقصاء الدكتور أحمد ضيف من الجامعة، وشغلتم أنتم مكانه وأنكم وقفتم من الدكتور على العنانى موقفًا مماثلاً ؟[1] : ورد الدكتور فى حماس وانفعال : أقسم أن هذا كذب وأنى ما سعيت للإضرار بأحد فى سبيل منفعة خاصة، والحقيقة أن الجامعة بعد أن أشرفت عليها الدولة وأصبحت رسمية عينت فيها أستاذًا، فغضب الدكتور ضيف وكذلك الدكتور عنانى لعدم تعيينهما كما عينت، وأنا لم أسع للتعيين فى درجة أستاذ والملك فؤاد هو الذى اقترح تعيينى فى درجة أستاذ، وإذن فما يقال من أننى سعيت للإضرار بأحد فى سبيل مصلحة خاصة غير صحيح.

وبهذه المناسبة أذكر أن الدكتور ضيف أقام بفرنسا أكثر من عشرة أعوام، ولما أراد أن يكتب رسالة الدكتوراه لم يستطع أن يكتبها بنفسه، وذهب إلى شخص من هؤلاء الذين يكتبون الرسائل الجامعية لغير الفرنسيين، وجاءنى بعد أن طبع الرسالة وقرأها على فوجدت فيها بعض النصوص التى تتعارض مع المفاهيم الإسلامية، ومنها نص يتعلق بذات

---

(١) يذهب إلى هذا المرحوم الدكتور عبد الحى دياب فى كتابه « الإقطاع الفكرى ».

الله ويصفه بأنه مركب فقلت للدكتور ضيف هذا خطأ، الله سبحانه ليس مركبًا، غير هذه الكلمة إلى كلمة مجرد، فكتب فى صفحة الصواب والخطأ: مركب خطأ والصحيح مجرد، وفى يوم المناقشة، قال أحد الأساتذة الممتحنين: ليس معقولاً أن يخطئ عامل المطبعة فيضع كلمة مكان أخرى، ولم يستطع الدكتور ضيف أن يجيب.

ثم استطرد العميد فقال: لقد مكثت أنا فى باريس نحو خمس سنوات حصلت فيها على الليسانس الخاصة، وهى درجة لا تعطى إلا لمن يدرس اللغة اللاتينية، وهو غير الليسانس الحر الذى يمكن الحصول عليه بسهولة، ثم حصلت بعد ذلك على دبلوم الدراسات العليا وهو يساوى الماجستير، وقد قدمت رسالة عن موضوع يتعلق بالدراسات اللاتينية، ولكى تتأكد اللجنة الممتحنة أننى أجيد اللاتينية قرأ على أحد الممتحنين نصًا معقدًا وطلب منى ترجمته إلى الفرنسية فترجمته فورًا، فآمنت اللجنة بأنى رجعت إلى المصادر الأصلية باللغة اللاتينية دون الاعتماد على الترجمات الفرنسية، ثم حصلت بعد ذلك على الدكتوراه عن ابن خلدون بدرجة ممتاز مع التهنئة وهى درجة رفيعة فى فرنسا.

سيد المرصفى[1]

الشيخ سيد المرصفى هو أحد أساتذة العميد الذين أثروا فى حياته وكان لهم عليه فضل لا يقدر، لقد كان الشيخ المرصفى أستاذ الأدب فى الأزهر، وكان له منهجه فى شرح الكتب القديمة وتذوقها، وهو منهج رأى فيه الفتى ما لم يره فى مناهج أساتذته فى الأزهر فأحب أستاذه المرصفى، وأحب الأستاذ تلميذه وتعهده بالرعاية والتوجيه، وأصبح الأستاذ والتلميذ صديقين حميمين وإن حدثت بينهما جفوة فى آخر حياة الأستاذ.

كنت أقرأ للعميد يومًا فى كتاب شرح نهج البلاغة، وورد نص شعرى مؤلف من بيتين فقط، وبعد أن قرأتها قال العميد: إن البيتين فى الحماسة وبينهما أبيات كثيرة وحاول أن يتذكر بعضها، وهنا قلت للدكتور: يبدو أنكم حفظتم الحماسة فى سن مبكرة، فقال: نعم حفظتها وأنا بين

---

(١) عالم بالأدب واللغة، تولى تدريس الأدب واللغة بالأزهر، وكان من جماعة كبار العلماء به، ولما نالت منه الشيخوخة، وكسرت رجله عجز عن إلقاء دروسه بالأزهر، اعتكف فى منزله بالقاهرة، وأقبل عليه طلاب الأدب فكان يعقد لهم حلقات الدرس إلى أن توفى سنة ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

له عدة كتب فى خدمة التراث الأدبى منها: رغبة الآمل من كتاب الكامل ثمانية أجزاء، أسرار الحماسة فى شرح ديوان الحماسة لأبى تمام.

١٥ ، ١٩ سنة، وكان ذلك قبل دخولى الجامعة القديمة، وكان يحفظها معى زميلاى الزيات وزناتى، وكان الشيخ المرصفى هو الذى وجهنا إلى حفظ الحماسة، كما أنه كان فى دروسه - وبخاصة فى كتاب الكامل - إذا قرأنا قصيدة يقول لى : أنت مسئول عنها، يعنى أنّه يجب علىّ أن أحفظها؛ لأنّه قد يطلب منى فى أثناء الدرس قراءة بعض أبياتها، ويقول العميد : لقد كنت أحفظ القصيدة فور سماعى لها لأول مرة، لقد حفظت شعرًا كثيرًا فى أيام الشباب ولكننى نسيت معظمه الآن، وفى يوم طلب منى الدكتور أن أشعل له سيجارة، ثم قال لى : إن الشيخ المرصفى هو سبب إقبالى على التدخين، فقد كان الشيخ مدخنًا، وكان يبعث أحد زملائنا ليشترى له علبة سجائر، بقرش واحد، وكانت تسمى « الفيل »، وقد أخذت أقلد شيخى وأشترى هذا النوع من السجائر وأدخن، وبهذه المناسبة كان إخوتى جميعًا يدخنون، ولما علم أبى ثار وكان يذهب إلى والدتى ويؤنبها قائلاً لها : « أولادك كلهم بيشربوا دخان حتى المفعوص طه » وفور سماعى لكلام والدى قلت له : وأنت مالك. فاعتبر والدى ردى عليه فى هذا الموضوع إهانة له وجرأة غير عادية، ويقول العميد : إن لوالدى الحق فى أن يرشدنى إذا انحرفت، وله أيضًا أن يعاتبنى إذا أتيت أمرًا خطيرًا، ولكن السجاير ليست أمرًا يستحق اللوم أو التأنيب، وانتصرت على والدى حتى أنه بعد وجبات الطعام كان يأمر إحدى أخواتى أن تشعل لى سيجارة، وقد جاء على وقت كنت أشرب فيه قدرًا كبيرًا ولكننى الآن لا أشرب إلا عددًا قليلاً، ثلاثة فقط تقريبًا.

ولما نشر العميد قصيدته فى جريدة الحزب الوطنى والتى هجا فيها شيوخ الأزهر وعلى رأسهم الشيخ الأكبر سليم البشرى، لأنهم حضروا

حفلاً أقيم فى فندق سافوى فى ذكرى مرور عام على إنشاء مدرسة الدعوة والإرشاد التى كان يرأسها الشيخ رشيد رضا، ففى هذا الحفل دارت كؤوس الخمر على الحاضرين وطبعًا لم يشرب الشيوخ، بيد أنهم ما كان لهم أن يشاركوا فى حفل ترتكب فيه المحرمات، ومن ثم هاجمهم الفتى هجومًا شديدًا، وأحفَظَ هذا الهجوم الشيوخ وبخاصة شيخ الأزهر، ودبّر هذا فى نفسه أمرًا، وأسرَّ إلى بعض خاصته بما يريد وعرف الشيخ المرصفى بما يُبيت للفتى النجيب فأزعجه وآلمه، ولكنه لا يملك القدرة على دفع ما عزم عليه الشيخ سليم، فقرر الذهاب إلى تلميذه فى بيته وقال له: أنصحك يا بنى ألا تدخل الامتحان هذا العام، ويسأل الفتى فى دهشة: لماذا؟ وقال أستاذه فى ألم يشوبه الغضب: إنهم عازمون على إسقاطك، وعرف الفتى سر غضب الشيوخ عليه وعزمهم على إسقاطه لكنه مع هذا لم يستجب لنصيحة شيخه الذى يحبه ويقدره ويحدثنى، العميد عن هذا الامتحان فيقول:

لم يزعجنى ما عرفته؛ لأنى ذاكرت دروسى مذاكرة جيدة، وألممت بها إلمامًا وافيًا والذى حدث أن اللجنة التى كان مقررًا أن أمتحن أمامها كان يرأسها الشيخ عبد الحكم، ولما طلب الشيخ سليم من الشيخ عبد الحكم أن يرسب الفتى اعترض وقال: وإذا كان مذاكرا فكيف يرسب، ويأمر الشيخ الأكبر بإلغاء لجنة الشيخ عبد الحكم، وضاع على هذا الشيخ بسبب موقفه النبيل وجبة غداء ونحو ثلاثين قرشًا، مكافأة رئاسة اللجنة.

وتتألف لجنة أخرى يرأسها الشيخ الدسوقى العربى تأتمر بأمر الشيخ البشرى، ويدخل الطالب حجرة اللجنة رابط الجأش واثقًا من نفسه،

ويجلس أمام اللجنة ليقدم إليه رئيسها بقية كوب من الشاى كان يحتسيه قائلاً له : اشرب هذا لتحصل لك البركة، ويشرب الطالب سؤر شيخه، وحصلت له البركة فرسب فى الامتحان.

لقد امتحنت اللجنة الطالب فى مادة أصول الفقه وأجاب الطالب إجابة وافية، ويدلف الشيخ البشرى إلى حجرة الامتحان ليقول إلى رئيس اللجنة : ارفق به يا شيخ دسوقى حرام عليك، ورفق الشيخ بالطالب رفقاً عجيبًا، وذلك أن الطالب بعد أن انتهى من مادة أصول الفقه طلب منه أن يستريح بعض الوقت فى حجرة أخرى، ويخرج الطالب ليجد شيخ الأزهر جالسًا أمام حجرة الامتحان ليتأكد من أن اللجنة حققت ما طلبه منها.

وبعد أن جلس الطالب وقتًا قصيرًا فوجئ بمن يدخل عليه ليسلمه حافظة أوراقه وكتبه، ومعنى هذا أن الطالب قد رسب فيها امتحن فيه ولن يواصل الامتحان فى سائر العلوم وحمل الطالب النجيب أوراقه غير آسف ولا حزين ليسرع إلى الجامعة الأهلية التى التحق بها منذ إنشائها فى سنة ١٩٠٨.

ويعلق العميد على ما حدث له فى هذا الامتحان قائلاً : لقد كان الأزهر مُلْكًا فى ذلك العهد، وأظنه ما زال كذلك الآن.

ويقول العميد : وكان نجاحى فى الجامعة الأهلية مصدر سعادة غامرة لأستاذى الشيخ المرصفى الذى أدين له بالفضل فى دراستى للأدب العربى القديم، وبعد عودتى من أوربا وفى أيام علاقتى الطيبة بالملك فؤاد، كلمت الملك عن الشيخ المرصفى وأشدت بعلمه ومكانته وأنّه غير لائق

أن يظل راتبه ثلاثة جنيهات بالإضافة إلى جراية الخبز، وطلب الملك مقابلة الشيخ المرصفى، وذهبت معه إلى السراى، وانتظرت مع كبير الأمناء فى الطابق الأول وصعد الشيخ إلى الطابق الثانى وقابل الملك، وعقب هذه المقابلة صدر مرسوم ملكى بتعيين الشيخ المرصفى عضوًا فى جماعة كبار العلماء، وكان معنى هذا أن يبلغ راتب الشيخ المرصفى ٣٥ جنيهًا بدلا من ثلاثة.

ويرجع سبب الخلاف أو الجفوة بين الشيخ والعميد، إلى أن الشيخ قد اشترك مع لجنة من كبار العلماء فى محاكمة الأستاذ على عبد الرازق بعد أن ألف كتابه الذى هاجم فيه نظام الخلافة وقال: إن الإسلام دين لا دولة وقد حكمت لجنة كبار العلماء على الأستاذ عبد الرازق بسحب درجة العالمية منه، والأستاذ على صديق للعميد والشيخ يعرف ذلك، والعميد هو السبب فى دخوله هيئة كبار العلماء، ولهذا غضب العميد من أستاذه وحدثت الجفوة التى استمرت حتى مات الأستاذ عليه رحمة الله، ومع هذا كان العميد يذكر أستاذه دائمًا بالثناء والتقدير والعرفان بالجميل.

عباس العقاد[1]

قال عميد الأدب العربى : قد يظن بعض الناس أنّه كانت بينى وبين العقاد قطيعة، وهذا غير صحيح ، فلا أعرف أن خلافًا كان بينى وبين العقاد، وإنما كان العقاد لى صديقًا حميمًا وأخًا كريمًا.

وهذه الكلمة قالها العميد بعد الندوة التى عقدت فى رامتان وحضرها عدد من الأدباء منهم أنيس منصور، وثروت أباظه، ونجيب محفوظ، ويوسف السباعى وغيرهم، وقد قال فيها العميد إنّه لم يفهم عبقرية عمر للعقاد، وكان هذا الرأى مثار تعليق وتساؤل، وبخاصة من طلاب الثانوية العامة الذين يدرسون هذا الكتاب.

ومما قيل إن الدكتور طه حسين لم يهاجم العقاد فى حياته خوفًا منه ، فلما

---

(١) كان عباس العقاد كاتبًا كبيرًا، وشاعرًا رصينًا وناقدًا بصيرًا، ومؤرخًا دقيقًا، وباحثا اجتماعيًا عميقًا، فهو متنوع الثقافة ، متعدد المواهب ولد بأسوان سنة ١٨٨٩ م وتلقى تعليمه الابتدائى بمدرستها الأميرية وقد عمل فترة بالحكومة، ثم استقال، وعمل بالصحافة ، واشتغل بالسياسة وقد انتخب مرتين عضواً بمجلس النواب، وعين كذلك بمجلس الشيوخ مرتين. وللعقاد إنتاج غزير، تُرجِم كثير منه إلى أكثر من لغة شرقية وغربية فضلاً عن مئات المقالات التى نشرت فى مختلف الصحف والمجلات. اختير عضوًا بعدة مجامع وهيئات علمية، توفى سنة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤م

مات العقاد انتقده وحمل عليه، وهذا يعنى أن العلاقة بينهما كانت غير طيبة، وقد نفى العميد فى تلك الكلمة هذا مؤكدًا أنّه لم يكن بينهما خلاف، وأنهما كانا صديقين حميمين.

وقد قال عميد الأدب العربى : يبدو أنى أخطأت حين قلت إنى لم أفهم كتاب عبقرية عمر، وليس هذا عيبًا للعقاد، وإنما هو عيب لى أنا، فقد عجزت عن فهم كتاب هو أقرب إلى الفلسفة منه إلى التاريخ، وعلى كل حال فتقرير هذا الكتاب غير سديد، وليس فى مستوى التلاميذ وحتى بعض المدرسين.

وبعد قراءة الفصل الذى كتبته الدكتورة نعمات فؤاد عن العقاد فى كتابها «قمم أدبية» قال العميد :

لقد قرأت مقالة عن الحب للعقاد نشرها فى مجلة الكتاب التى كانت تصدرها دار المعارف، وفور الانتهاء من قراءة المقالة أدركت أن ما فيها من أفكار ليس عربيًا، وطلبت من سكرتيرى إحضار دائرة المعارف البريطانية، وقرأت ما كتب عن الحب فيها، فإذا هو النص الذى ترجمه الأستاذ العقاد فى مقالته، واستطرد العميد قائلاً : لقد كان العقاد حساسًا مفرطًا فى الحساسية، وكانت عقدة الشهادة تسبب له المتاعب من حيث لا يدرى، مرة والمجمع يستعد لمؤتمره السنوى اقترح الدكتور منصور فهمى أن أعد محاضرة عن أبى العلاء للمؤتمر، وقد قال فى مجلس المجمع وهو يقدم اقتراحه : إن الدكتور طه يعد أعرف الناس بأبى العلاء، وما كاد الأستاذ العقاد يسمع هذا حتى اندفع قائلاً بأنه يعرف عن أبى العلاء ما لا يعرفه طه حسين وغيره، وهو أقدر الناس على الحديث فى هذا

الموضوع. ويقول الدكتور طه: وحاولت تهدئة الأستاذ العقاد، وأبديت له رغبتى فى عدم الحديث فى هذا الموضوع.

ومما يتصل بعقدة الشهادة لدى الأستاذ العقاد قال العميد: فى جلسة من جلسات مجلس الفنون والآداب، وكان معنا السيد - كمال الدين حسين، وكان وقتها وزيرًا للتربية والتعليم قال الأستاذ العقاد موجهًا الحديث للسيد كمال الدين حسين: أنا ألّفت أكثر من سبعين كتابًا، والمدهش أن الجامعة لا تتحرك، ولا تعير إنتاجى اهتمامًا مع أنها قدرت غيرى ممن يقل إنتاجهم عن إنتاجى.. مثل أحمد أمين وعبد العزيز فهمى.

وكان الأستاذ العقاد يقصد بهذا أن تمنحه الجامعة درجة الدكتوراه الفخرية، كما منحت سواه من الكتاب والمفكرين..

وسألت العميد: هل ترون أن الأستاذ العقاد على حق فى هذا؟ وكان جوابه: لا أدرى.

وجاء فى كتاب الدكتورة نعمات السالف الإشارة إليه إلى عدم زواج العقاد، وعقب عليها الدكتور بقوله: لقد كان للعقاد علاقة غير شرعية بامرأة كانت تسكن فى العباسية، وقد أثمرت هذه العلاقة فتاة، وهى التى انتحرت بعد وفاة العقاد، لأنها ذهبت إلى البيت يوم وفاته فظن أهله وإخوته إنها جاءت لتطالب بحقها فى الميراث، فطردوها من البيت فانتحرت.

وكنت أقرأ موضوعًا عن إبليس ورد فى كتاب نهج البلاغة، فقال العميد: إن إبليس لم يكن من الملائكة، وإنما كان بنص الآية من الجن،

وأذكر أن أستاذًا إيطاليا كتب كتابًا عن إبليس ذهب فيه إلى أنه كان أحرص من الله على وحدانية الله لأنّه امتنع عن السجود لآدم، ومعنى هذا أن الله وحده هو الذى يجب أن يفرد بالسجود، ولكن هذا الأستاذ الإيطالى نسى أن الله لم يأمر إبليس بالسجود لآدم لأنّه يستحق السجود لذاته فالله هو الذى خلق آدم والأمر بالسجود له يعنى تمجيد صنع الله.

فقلت للعميد: إن للمرحوم العقاد كتابًا عن إبليس فقال: لم أقرأ هذا الكتاب، ولكنى قرأت كتاب الله.. وهو كاتب جاف.

وقد سئل يومًا العميد عن مكانة العقاد وأثره فى الأدب، فقال: إن أثر العقاد فى الأدب الحديث ضخم جدًا لا يمارى فى ذلك أحد، وقد بايعت العقاد منذ نحو أربعين عامًا بإمارة الشعر بعد وفاة شوقى وحافظ وقلت: ضعوا لواء الشعر فى يد العقاد، وقولوا للأدباء والشعراء أسرعوا، استظلوا بهذا اللواء فقد رفعه لكم صاحبه.

وقلت للعميد مرة عندما جاء ذكر الأستاذ العقاد: ألم يكن من الأجدى للفكر لو أن الأستاذ العقاد لم يشغل نفسه بالسياسة والحزبية واهتم بالدراسات الأدبية والفكرية، فقال: لم يكن فى استطاعته أن يفعل ذلك وإلا مات جوعًا، فلم يكن الأدب وحده يكفى أن يدر عليه رزقًا يكفيه، ولذلك اضطر إلى خوض ميدان السياسة والحزبية.

وكانت الإذاعة المرئية السعودية قد سجلت حديثًا للعميد فى سنة ١٩٧١، ودار هذا الحديث حول إسلاميات العميد وعلاقته بالعقاد وغيره من الأدباء والكتاب، وقد أكد العميد علاقته الأخوية بالعقاد وأشار إلى أن ما قاله بالنسبة للعبقريات لا يعنى الخصومة والشقاق، وإنما يعنى وجهة

نظر قد تكون صحيحة أو غير صحيحة، ثم قال العميد للمذيع : اقرأ إن شئت رثائى للعقاد فهو برهان يدحض كل زعم بأنّه كانت بينى وبين العقاد خصومة.

ومما قاله العميد فى هذا الرثاء :

«وكذلك فارقتنا أيها الأخ الكريم، والصديق الحميم، والزميل العزيز. . فارقتنا فجأة على غير أذان لنا بهذا الفراق وعلى غير انتظار من عوادك وأطبائك ومن أهلك الذين يحوطونك بعنايتهم ورعايتهم، والذين كنا نسألهم عنك فلا نسمع منهم إلا خيرًا أى خير.

كانوا ينبئوننا بأن صحتك تتقدم فى اطراد، وأنّك توشك أن تسترد العافية كاملة والنشاط موفورًا. ولقد سألتهم حين تقدم الليل فأنبأونى بأنّك على خير حال، وبأنك تستريح من مرضك بعد أن انجلى هذا المرض. . ولقد سعدت بذلك السعادة كلها واستبشرت به كل الاستبشار، وعرفت أن الملتقى فى «مجمع اللغة العربية» قريب، وأن زملاءك جميعًا سينعمون بهذا اللقاء وسيسعدون بمشاركتك لهم فيما ينهضون به من الأعباء.

ولكنى أصبح فإذا النبأ يفجؤنى فيقع علىّ موقع الصاعقة، وأقسم لقد ذهلت له ذهولاً أفقدنى الشعور بمن حولى، أو كاد يفقدنى هذا الشعور. . وقد احتجت إلى وقت غير قصير وعناية متصلة لأثوب إلى نفسى، أو لتثوب نفسى إلىّ. . ولقد لبثت ساعات لا أصدق هذا النبأ ولا أطمئن إليه حتى بعد أن رأيته فى كل صحف الصباح.

وأنا مع ذلك أعلم أن الموت حق وأن كل نفس ذائقة الموت كما يقول الله عز وجل.

ولكنى لم أكن أنتظر أن تسرع إليه أو أن يسرع إليك على هذا النحو، وقد كنت أقوى الناس قوة وأعظمهم نشاطًا وأخصبهم حياة وأبعدهم عن مظاهر الضعف والفتور، ولكن الشاعر قد صدق كل الصدق حين قال :

والمـــوت نقـاد عـــلى كفـــه جـواهـر يختـار منهـا الجيـاد

أجل أيها الأخ الكريم، لقد عرف الموت كيف يختار حين صوب سهمه إليك، وسهام الموت لا تخطئ الغرض.

وإذا المنيـة أنشبت أظفارهـا ألفيت كـل تميمـة لا تنفـع

إيه أيها الأخ الكريم، إن موتك لم يفجع أسرتك وحدها، ولا وطنك وحده، وإنما فجع العالم العربى كله، فقد كنت علمًا من أعلام العروبة الشاهقة، ونجماً من نجومها المشرقة ملأت الدنيا أدبًا وحكمة وفلسفة وعلمًا.

تألق نورك بين مواطنيك منذ شبابك الأول، وما لبث أن تجاوز وطنك وأشرق على العالم العربى كله، ثم لم يلبث أن تجاوزه إلى المعنيين بشؤون الأدب العربى فى جميع أقطار الأرض حتى كأن الشاعر العربى القديم إنما رثاك بقوله :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنـه بنيـان قـوم تهـدمـا

ويشير العميد بعد هذا إلى طرف من جهاد العقاد ونضاله السياسى، ثم يختم رثاءه بقوله :

في ذمة الله أيها الأخ الكريم، لقد فارقتنا على غير وداع واختطفك الموت من بيننا فجأة كأنه اختلسك منا اختلاسًا ولكن أمثالك تموت أجسامهم؛ لأن الموت حق على الأحياء جميعًا، ولكن ذكرهم لا يموت؛ لأنهم فرضوا أنفسهم على الزمان وعلى الناس فرضًا، وسيحتوى شخصك الكريم فى أطباق الثرى، ولكن القبر الذى سيحتوى شخصك لن يستأثر بك، فلك فى قلوب الذين يحبونك والذين ينتفعون بأدبك وعلمك ذكر لن يموت إلا بموتهم، ولكنهم لن يستأثروا بذكرك وإنما ستشاركهم فيه الأجيال التى تبقى ما بقى الدهر.

وإنّا إلى الله راجعون لقد ... أصبح حزنى عليك ألوانًا
حزن اشتياق وحزن مرزأة ... إذا انقضى عاد كالذى كانا

ولا ريب فى أن هذا رثاء صادق لا يصدر إلا عن قلب ملتاع يكنّ الحب الخالص لأخ كريم، وصديق حميم على حد قول العميد فى مستهل رثائه لأخيه العقاد.

عبد الرزاق السنهورى[1]

قال عميد الأدب العربي :

بعد عودة الدكتور السنهورى من فرنسا وتعيينه بالجامعة، جاءنى يشكو لأنه لم يرقَّ إلى درجة أستاذ على حين رُقِّىَ غيره، وقد سعيت لترقية الدكتور السنهورى إلى درجة أستاذ، وبعد مدة جاءنى وطلب منى أن أسعى لدى مكرم عبيد لتعيينه قاضيًا بمحكمة المنصورة المختلطة؛ لأن فى هذا راتبًا يفوق راتب الجامعة، وكلمت مكرم وصدر قرار بتعيين الدكتور السنهورى قاضيًا بالمنصورة، وبعد مدة جاءنى وطلب منى أن يعمل فى قضايا الحكومة، ولم أضق بكثرة طلباته ورغباته وكلمت الدكتور عبد الحميد بدوى فنقله إليها.

---

(١) السنهورى علم من أعلام الفقة والقانون، ولد بالاسكندرية سنة : ١٣١٢ هـ - ١٨٩٥ م وتلقى بها تعليمه الابتدائى والثانوى، تخرج فى مدرسة الحقوق سنة ١٩١٧ م ثم عمل بالنيابة ومدرسة القضاء، وأوفد فى بعثة إلى فرنسا فحصل على الدكتوراه فى القانون سنة ١٩٢٦، وعمل بعد ذلك بالجامعة، وكذلك المحاكم المختلطة، وتولى وزارة المعارف أكثر من مرة، كما كان رئيسًا لمجلس الدولة، له مؤلفات كثيرة فى الفقة والقانون تعد مراجع مهمة وثروة قانونية يعتز بها الفكر القانونى المعاصر. توفى سنة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م

فقلت للعميد : لقد أحسنت إلى الدكتور السنهورى وحققت له كل ما طلبه منكم، فصمت برهة ثم قال فى نبرة يشوبها الألم :

إن النقراشى كان مع النحاس ثم انشقّ عليه وانضم إلى النقراشى السنهورى، وخاض السنهورى فى السياسة، وحين عين وكيلاً لوزارة المعارف مع النقراشى أخذ السنهورى يكيد لى ويتآمر علىّ وأنا لا أدرى.

فقلت للعميد :

إن فى تصرف الدكتور السنهورى نكرانًا للجميل، فقال : هذا صحيح ونكران الجميل شيء فظيع، ولكن يبدو أنّه مرض متفش فى الدنيا، فقلت للعميد : فى قريتنا مثل ريفى يقول : اعمل الخير وارمه فى البحر، فقال : إن نكران الجميل لا يؤثر فى نفسى لدرجة أن يحول بينى وبين عمل الخير ما استطعت، وهذا المثل يذكرنى بمثل أسبانى يقول : قال الرجل لصاحبه : إن فلانًا يذكرك بسوء، فرد عليه صاحبه : عجبًا كيف يفعل وأنا لم أقدم إليه معروفًا قط، وهذا المثل يشير إلى أن فعل الخير يجلب على فاعله السوء.

وتذكرت فى الحال الحكمة العربية المأثورة :

اتقِ شرَّ مَن أحسنتَ إليه.

عبد العزيز جاويش[1]

يعد الشيخ عبد العزيز جاويش من أساتذة العميد الذين فتحوا له ميادين الكتابة فى الصحف والمجلات ومخاطبة الجماهير وإنشاد الشعر بين أيديهم، وفى ذلك يقول العميد : وهو الذى عرف الفتى إلى جماهير الناس ووقوفه بين أيديهم ذات صباح منشدًا للشعر، كما كان يفعل الشعراء المعروفون وحافظ منهم خاصة فى بعض المناسبات.

لقد كان الشيخ جاويش يشجع الفتى الأزهرى على الكتابة ومهاجمة خصوم الحزب الوطنى مهما تكن سخافة المقالات التى يكتبها الفتى، كتلك المقالة التى كان مطلعها «عم صباحًا أو مساء واشرب هواء أو ماء واستأجر من تشاء لما تشاء، فقد وضح الحق وبرح الخفاء».

---

(١) عبد العزيز جاويش، خطيب وكاتب من الكتاب، ويعد من رجال الحركة الوطنية بمصر، تونسى الأصل، ولد بالاسكندرية سنة : ١٢٩٣ هـ - ١٨٧٦ م، وتعلم فى الأزهر ودار العلوم وقد اختير استاذًا للأدب العربى فى جامعة كمبردج، وعاد إلى مصر فاشتغل مدرسًا، فمفتشًا للغة العربية، واتصل بمصطفى كامل، ورأس تحرير «اللواء» وهاجم المحتلين، فحوكم بسبب ذلك مرات.

أصدر بعض المجلات مثل الهداية، والعالم الإسلامى، كما شارك فى إنشاء جمعية الشبان المسلمين. توفى بالقاهرة سنة : ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩م

يقول العميد فى الجزء الثالث من الأيام : ولم يَنْسَ الفتى مقالاً دفعه ذات مساء إلى الشيخ عبد العزيز جاويش، فلم يكد يقرأ أوله حتى طرب له وأبَى إلا أن يقرأه بصوته العذب على من يحضر مجلسه ذاك وابتهج الفتى حتى سمع الثناء وأحس الإعجاب واستيقن أنّه أصبح كاتبًا ممتازًا، ثم لم يذكر بعد ذلك أول هذا المقال حتى طأطأ من رأسه ومن نفسه وسأل الله أن يتيح له التكفير عن ذنبه ذاك العظيم.

ثم يقول العميد : كان بعض تبعة هذا السخف يقع على الشيخ عبد العزيز جاويش، ولكن للشيخ عبد العزيز جاويش فضلاً على الفتى أى فضل فهو الذى ألقى فى روع الفتى فكرة السفر إلى أوربا حين قال له ذات يوم : لا بد من أن نصنع شيئًا لإرسالك إلى فرنسا عامين أو ثلاثة أعوام.

ويضيف العميد فى بيان فضل الشيخ جاويش عليه رحمه الله فيقول : ثم لم يقف الشيخ عبد العزيز جاويش بالفتى عند هذا الحد، ولكنه علمه الكتابة فى المجلات، فقد أنشأ مجلة الهداية وطلب إلى الفتى أن يشارك فى تحريرها، ثم ترك له أو كاد يترك له الإشراف على هذا التحرير، وكان له الفضل كل الفضل فيما تعلم الفتى من إعداد الصحف وتنسيق ما ينشر فيها من فصول، ولم تخل الهداية من جدل عنيف دفع الفتى إليه دفعًا.

ويبدو أن صلة العميد بالشيخ جاويش بدأت منذ عرف الفتى طريقه إلى النشر فى الصحف والمجلات، بدليل القصيدة التى نظمها العميد فى تهنئة الشيخ جاويش بمناسبة خروجه من السجن سنة ١٩٠٩؛ بسبب المقدمة التى كتبها لديوان وطنيتى للمرحوم الشاعر الكاتب على الغاياتى.

قال العميد :

الآن حق لك الثناء ... فلتحى وليحى اللواء

ولتحى مصر وأهلها ... شاء العدا أو لم يشاءوا

تعلو بها أصواتنا ... حتى ترددها السماء

إن كان ذكرك للجلاء ... يسوء فليكن الجلاء

سيروْا إذ تبدو الحقيقـ ... ـة أن قوتهم هواء

ما إن أصابتك الإساء ... ة بل لأنفسهم أساءوا

لو يعلم السجن الذى ... قد كان فيه لك الثواء

من ذا يقيم به لكان ... له بمثواك ازدهاء

لم لا وأنت لسان مصر ... إذا ألحَّ بها المراء

تدعو لها ويذود عنها ... صدق عزمك والمضاء

فاسلم لمصر وأهلها ... إنّا لنجدتك الفداء

وقد نشر فى يوم الخميس الموافق ١٩٦٩/٤/٢٤ فى يوميات جريدة الأخبار مقال تحت عنوان التراث الحىّ للأستاذ محسن محمد، وقد ذكر الكاتب فى مستهل مقاله : أنّه سأل الدكتور طه حسين لماذا نقدت المنفلوطى، فقال له : لأن المنفلوطى كان أديبًا مشهورًا فأردت من وراء نقده الشهرة، وقد عقب الدكتور على هذا بقوله : هذّا الكاتب كذاب فأنا لم أقل له شيئًا من هذا فضلاً عن أن نقدى للمنفلوطى لم يكن القصد منه الشهرة بالنسبة لى، والحقيقة أن الشيخ عبد العزيز جاويش كان يكره المنفلوطى، وهو الذى حرضنى على الكتابة ضده، فقلت للعميد : هل يعنى هذا أن نقدكم للمنفلوطى كان نقدًا سياسيا أكثر منه أدبيًا؟ فقال :

هو ذاك ولكنى أستحى مما كتبته ضد المنفلوطى، لأن ما كتبته لم يكن نقدا بالمعنى الصحيح، وإنما كان بحثًا فى صحة المفردات التى يستعملها المنفلوطى من الناحية اللغوية، وكنت أنشر هذا تحت عنوان «نظرات فى النظرات».

وأخبرنى الأستاذ محمد شوقى أمين عضو المجمع اللغوى أن العميد لم يكن يكتب هذا النقد، وأن الأستاذ صادق عنبر هو الذى كان يعده ثم ينشر باسم العميد.

وتحدثت مع العميد حول نقده للمنفلوطى، وهل كان هناك من يعاونه فيه، فكرر ما أسلفت الإشارة إليه وهو استحياؤه من هذا النقد دون أن يفصح عن شيء آخر، كما أكد استحياءه من مقال كتبه ضد السيد رشيد رضا، فقد استعمل فيه ألفاظًا قاسية وسخرية لاذعة، وهذا المقال كتبه كذلك بتشجيع من الشيخ جاويش وقد نشر فى مجلة الهداية.

لقد دفع الشيخ جاويش بالفتى إلى معارك الفكر والسياسة وحرضه على ذلك لغاية فى نفسه، وكان الفتى يستشعر بلا جدال فى خوض هذا الصراع لذة الطموح وتأكيد الذات، وقد أومأ إلى هذا بقوله: لم يكد الفتى يأخذ بالكتابة حتى عرف بطول اللسان والإقدام على ألوان من النقد قلما كان الشباب يقدمون عليها فى تلك الأيام، ومع هذا تعلم الفتى من الشيخ جاويش الكثير وكان له فضل عليه كبير.

على عبد الرازق[1]

قال عميد الأدب العربى :

عرفت الأستاذ على عبد الرازق منذ أيام الطلب فى الأزهر، ولم تقتصر علاقتى به وحده فقد شملت الأسرة كلها، وكانت لنا جلسات ممتعة فى بيت آل عبد الرازق فى عابدين، وأذكر أنى رثيت والدة على عبد الرازق وكذلك والده وكان هذا الرثاء شعرًا ونشر ذلك فى الجريدة.

واستطرد العميد قائلاً :

إن صلتى بعلى عبد الرازق كانت وثيقة جدًا، وأذكر أن عليًا وهو

---

(١) ولد الأستاذ على عبد الرازق سنة : ١٣٠٥ هـ - ١٨٨٨ م، درس فى الأزهر، وكان إلى جانب دراسته الأزهرية يدرس فى الجامعة المصرية القديمة، وقد حصل من الأزهر سنة ١٩١٢ على شهادة العالمية، ثم سافر إلى إنجلترا لدراسة الاقتصاد والسياسة ولكنه عاد إلى مصر بعد قيام الحرب العالمية الأولى.

ولى القضاء بالمحاكم الشرعية، وانتخب عضوًا بمجلس النواب والشيوخ، كما عين وزيرًا للأوقاف، واختير عضوا بالمجمع اللغوى له مؤلفات فى الأدب وأصول الفقه. وبحث فى الخلافة والحكومة فى الإسلام، وهو الذى أثار ضجة، وحكم عليه بسببه بتجريده من شهادة العالمية. توفى سنة : ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م

طالب فى الأزهر قد استأجر حجرة قرب الأزهر ليستريح فيها بين الدروس؛ نظرًا لبعد منزل الأسرة عن الأزهر، وكان يصر على أن أذهب معه إلى هذه الحجرة طوال فترة بقائه فيها، وكنا نقضى الوقت فى مذاكرة بعض العلوم وقراءة كتب الأدب.

وكان فى عدد آخر الساعة الصادر بتاريخ ١٩٧٠/١١/١٧ دراسة عن كتاب «الاسلام وأصول الحكم» للأستاذ على عبد الرازق، وبعد أن قرأت عليه هذه الدراسة وكان فيها إشارة إلى مقال كتبه الدكتور فى السياسة بعد صدور الحكم ضد الشيخ على عبد الرازق، فقال: لقد كتبت مقالين فى السياسة عن هذا الموضوع، وهاجمت شيوخ الأزهر لتجريدهم الشيخ على عبد الرازق من درجة العالمية وإبعاده من القضاء الشرعى، وخاصمت بعض هؤلاء مع اعترافى بفضلهم علىّ مثل الشيخ سيد المرصفى؛ بسبب اشتراكه فى محاكمة الشيخ على.

وقال العميد:

إن الملك فؤاد كان يروج لفكرة الخلافة الإسلامية بعد إلغاء هذه الخلافة فى تركيا، وكان يطمع فى أن يصبح خليفة للمسلمين فجاء هذا الكتاب ليحارب هذه الفكرة لأنّه ينتهى إلى أن الإسلام دين لا دولة، وأن الرسول ﷺ ما كان إلا رسولاً لدعوة دينية خالصة للدين لا تشوبها نزعة ملك ولا حكومة، وإنّه ﷺ لم يقم بتأسيس مملكة بالمعنى الذى يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها.

وقلت للعميد:

هل تقر ما قاله الشيخ على عبدالرازق فى هذا الموضوع الخطير[1]، فقال: هذا رأيه وما كان يجب محاكمته بسببه، والواقع أن الملك كان من وراء محاكمة الشيخ على كما كان من وراء ما أثير حول كتاب الشعر الجاهلى، وأذكر أن المرحوم عبد العزيز فهمى كان وزيرًا للعدل حين صدر الحكم ضد الشيخ على فاستقال احتجاجًا على هذا التصرف، على أنى قرأت أصول كتاب الشيخ على قبل طبعه ثلاث مرات، وعدلت فيه كثيرًا.

ولما عرض الأزهر على العميد أن يمنحه درجة العالمية بعد أن بلغ العميد ما بلغ وأصبح حديث الناس رفض هذا العرض وقال: لا أحب أن يفعلوا معى مثل ما فعلوا مع الشيخ على عبد الرازق منحوه درجة العالمية، ثم أخذوها منه، ثم عادوا فمنحوه الدرجة مرة أخرى.

وفى يوم الجمعة الموافق ١٩٦٧/٩/٢٣ توفى الأستاذ على عبد الرازق، وفى يوم السبت ٢٤ كان أول لقاء بينى وبين العميد بعد عودته من رحلته الصيفية. وقد وجدته جالسًا فى شرفة حجرة نومه تبدو عليه دلائل الصحة، وبعد تحيته وتهنئته بسلامة العودة بدأنا القراءة فى الصحف، وكان نعى الأستاذ على عبد الرازق منشورًا فى صحف السبت، وفى صحف هذا اليوم أيضًا نشر نعى الدكتور يوسف مراد، وكنت أدرك أن نبأ وفاة الأستاذ سيؤلمه جدًا، وكنت فى حرج شديد أأقرأ له النبأ أم لا، على أن زوجة الدكتور كانت تلومنى فى بعض الأحيان إذا قرأت للعميد

---

(١) انظر مناقشة فكرة هذا الكتاب «كتاب الفكر الإسلامى الحديث، وصلته بالاستعمار الغربى» للدكتور محمد البهى.

أنباء وفاة بعض أقرانه وأصدقائه، ومع هذا لم أجد بداً من قراءة النبأ حتى لا يعرفه من زائر أو عن طريق مكالمة هاتفية فيلومنى العميد، وأضع نفسى موضع التهمة فى عدم قراءة الصحف قراءة كاملة.

وقد حدث ما توقعته، فقد بدا الألم على وجه العميد بعد سماعه النبأ، وطلب منى بعد فترة أن أعاونه لينام فى فراشه لأنه يشعر بتعب مفاجئ، وآلام فى الأمعاء شديدة، وقبل انصرافى طلب منى أن أبعث ببرقية عزاء إلى أسرة الفقيد العزيز.

فـؤاد[1]

قال عميد الأدب العربى :

كانت الجامعة الأهلية تحت إشراف الأمير فؤاد، ولما كان طه حسين أول طالب يحصل على درجة الدكتوراه من هذه الجامعة وتوفده على نفقتها فى بعثة دراسية إلى فرنسا، لقى من المشرف على الجامعة اهتمامًا خاصًا، ويروى الدكتور طه أنّه بعد عودته من البعثة قابل فؤادًا، فقال هذا له : اعتبرنى أخاك، وبابى مفتوح لك فى كل وقت، وبعد أن انتهى هذا اللقاء وجد العميد أمين القصر ينتظره فى الطابق الأول ليعطيه مظروفًا به مائة جنيه.

وألف العميد كتابه «من الأدب التمثيلى» وحمله ليقدمه هدية إلى فؤاد، وعند انصراف العميد وجد أمين القصر فى انتظاره ليعطيه مظروفًا به مائة جنيه أيضًا. .

---

(١) أحمد فؤاد ابن الخديو إسماعيل بن إبراهيم بن محمد على، ولد بالقاهرة سنة ١٢٨٤هـ - ١٨٦٩، وتعلم فى جنيف، والمدرسة الحربية بإيطاليا وعاد إلى مصر سنة ١٨٩٢م، وتولى سلطنة مصر سنة ١٩١٧ بعد وفاة السلطان حسين، ثم أصبح ملكاً لمصر بعد رفع الحماية الإنجليزية عنها. توفى سنة : ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.

وكان راتب المدرس فى الجامعة الأهلية ٣٣ جنيهًا، ولكن العميد طلب من الجامعة أن تزيد فى راتبه مبلغًا يدفعه لسكرتير يقرأ له ويعاونه فى أعماله، ورفضت الجامعة هذا، فلجأ العميد إلى فؤاد فأمر بأن يكون راتب الدكتور طه أربعين جنيهًا.

وقال عميد الأدب العربى : إن حشمت باشا اتصل بى وقال : إن الملك فؤادا يريد أن تتولى رئاسة تحرير جريدة الاتحاد، فقلت : إنّنى أريد أن أسمع هذا من الملك نفسه، وفى اليوم التالى قابلت الملك، وتوليت بعد هذا رئاسة تحرير تلك الجريدة، ويضيف العميد قائلاً : إن الملك فؤادًا كان يقدرنى جدًا ويحبنى، ولكنه غضب علىّ حين ناديت بالدستور وتحدثت عن الحياة الديمقراطية، لقد ضاق بى الملك فؤاد لمناداتى بالحرية والديمقراطية، ومع هذا كان يقدرنى، فقد قال لسيلاكوه مدير المُتحَف المصرى : إنى أحترم طه حسين ولكنى لا أحبه.

ولما أصبحت الجامعة الأهلية جامعة حكومية ناقش مجلس الجامعة موضوع هيئة التدريس، وكان من رأى أعضاء المجلس أن أظلّ فى درجة مدرس، ولكن فؤادًا لم يوافق على هذا - على الرغم من أن الخلاف بينى وبينه قد بدأ -. ومما قاله إن طه حسين يجب أن يكون أستاذًا.

وحين ثار الأزهر على العميد بسبب كتابه عن الشعر الجاهلى، سأل عبد الخالق ثروت الشيخ أبا الفضل الجيزاوى، وكان شيخ الأزهر، ما حكاية هذه الحملة التى يقوم بها الأزهر ضد طه حسين، فقال الشيخ : الأزهر غير مسئول عن هذه الحملة، فسأله ثروت : ومَن المسئول إذن ؟ فقال : الملك فؤاد.

ثم قال الدكتور : إن الملك فؤادًا حلف برأس أبيه أن يخرج طه حسين من الجامعة، ولكنه عجز عن ذلك.

وحينما كان الدكتور طه عميدًا لكلية الآداب جاء الملك فؤاد لزيارة الجامعة، ويقول العميد عن هذه الزيارة : وكنت ضمن الذين استقبلوا الملك، وقابلنى مقابلة طبيعية، وكان معه فى هذه الزيارة صدقى، وعدلى، ووزير المعارف عيسى حلمى، وكانت عادة الملك أن يدخل المدرجات ويستمع إلى بعض المحاضرات وكنت قد نبهت على الأساتذة ألا يغيروا شيئًا من برنامج محاضراتهم، وحدث أن دخل الملك محاضرة لأستاذ فى التاريخ، وكان موضوعها تطور الدستور الإنجليزى، ففهم الملك أن فى هذا تعريضًا به؛ لأنّه كان قد عطّل الدستور، وطبعًا فهم أننى الذى حرضت الأستاذ على ذلك، وقوّى هذا لدى الملك أن الطلبة قد هتفوا بحياة عدلى يكن دون أن يهتفوا بحياة الملك أو صدقى، ولما سأل فؤاد عن سبب ذلك : قال له وزير المعارف : هذا من تدبير الدكتور طه حسين.

حدث هذا فى يوم السبت، وفى يوم الخميس صدر قرار وزارى بنقلى من الجامعة إلى وزارة المعارف، فرفضت تنفيذ القرار؛ لأنّه ليس من حق وزير المعارف أن ينقل أستاذًا جامعيًا، فالجامعة مستقلة ولا سلطان لأحد عليها، ولما رفضت تنفيذ القرار طلبنى رئيس الوزراء وقال لى : لماذا لا تنفذ قرار الوزير؟ فقلت له : هذا الوزير حمار ولا أحب أن أتعامل معه كما أنّه ليس من حقه أن يصدر مثل هذا القرار، فقال رئيس الوزراء : لا تتعامل مع هذا الوزير، وتعامل معى، فقلت له : ولا أتعامل معك،

فقال رئيس الوزراء : إذن فأنا حمار مثله، فقلت : عفوًا يا باشا لم أقصد ذلك. . ويكمل العميد : وانتهت هذه المقابلة، ثم فوجئت بعدها بصدور قرار بإحالتى على المعاش. .

وسألت العميد بعد هذا : يبدو أن فؤادًا كان يود أن تكون من حاشيته ومن أنصاره يكتبون عنه ويشيدون به، وجاء رد العميد : لم أفعل ذلك معه ولا مع غيره من الحكام. .

فـاروق[1]

لم يكن الملك فاروق كأبيه يعرف قدر العميد وإن لم يكن يطمئن إليه أو يتقبل آراءه، ولكنه فيما يبدو كان ينظر إلى الدكتور طه نظرة كريهة، ويراه مناوئًا للعرش، غير متعاطف معه وأن العميد لم يكن يرى فى فاروق حاكمًا جديرًا بالثقة والقيام بأمانة الحكم، وقد حدثنى العميد عن علاقته بفاروق فقال :

لقد نشرت فى مجلة « الهلال » مقالاً تحت عنوان « القلب المقفل أو المغلق » لا أدرى، وبعد نشره جاءنى الأستاذان فكرى أباظة وأميل زيدان وقالا لى : إن الملك يظن أن المقال يعرض به، فقلت لهما : ليس فى المقال تعريض بالملك ولا أعنيه بما كتبت، ثم صمت الدكتور برهة وقال : وأقسم بالله أن الملك كان فى ذهنى وأنا أكتب المقال.

وفى مساء الاثنين الموافق ٧١/١٢/٢٧ حضرت إلى رامتان كبرى بنات المرحوم الدكتور عبد اللطيف حمزة الأستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة، وتحدثت مع الدكتور حول حق والدها فى جائزة الدولة التقديرية للآداب

---

(١) آخر من حكم مصر من أسرة محمد على، ولد سنة ١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠م بالقاهرة وتعلم بها وبفرنسا وإنجلترا، خلف أباه أحمد فؤاد ملكًا على مصر سنة ١٩٣٦م وخلع سنة ١٩٥٢ عقب قيام الثورة، وأقام بروما إلى أن توفى سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥م

هذا العام، وطلبت من العميد أن يسعى لدى الدكتور حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والإعلام فى ذلك الحين من أجل ترشيح والدها، وقال لى الدكتور: ذكرنى غدًا حتى أكلم الدكتور حاتم.

وبعد انصراف ابنة المرحوم الدكتور حمزة، قال العميد: بمناسبة الجوائز أذكر أنه فى عهد فاروق رشحت لجائزة أدبية مقدارها ألف جنيه، ولكن الملك عارض فى منحى هذه الجائزة ثم أمر بعد ذلك بمنحها لى، وقلت للمرحوم مصطفى النحاس: أنا سأرفض هذه الجائزة، غير أن النحاس رجانى ألا أرفضها حتى لا أكون سببًا فى أزمة بين الوفد والسراى، وقبلت الجائزة وقدمتها هدية لزوجتى..

ولما تولى الدكتور وزارة المعارف ووقف أمام الملك فاروق يقسم اليمين قال له الملك: أنا بامتحنك يا دكتور طه ولا أريد هذا الكلام الفارغ الذى تحدث به الناس وتكتبه فى الجرائد، ويقول العميد: ولزمت الصمت ولم أرد على الملك، ولكن ردى عليه كان بعد ذلك اللقاء بيوم واحد، فقد أعلنت مجانية التعليم الابتدائى والثانوى.

ولما أردت إعلان مجانية التعليم الجامعى رفض الملك فاروق بشدة، وقال للنحاس: إن طه يريد أن يجعل البلد شيوعية..

ويقول الدكتور طه: وحاول الملك فاروق إلغاء مجلس الدولة - حينما كنت فى الوزارة - وهذا من أجل التخلص من الدكتور السنهورى رئيس المجلس، فقلت للنحاس: أبلغ الملك أننا نرفض إلغاء مجلس الدولة، وإذا كان الملك مصرا على ما يريد فستقدم الوزارة استقالتها، وسكت الملك عن محاولة إلغاء مجلس الدولة أمام هذا الموقف المتشدد.

وقال العميد أيضًا : إن قصرًا بالإسكندرية وقع عليه الاختيار ليكون مقرا لكلية التجارة ولكن أحد المسئولين المقربين من الملك - نسيت اسمه الآن - ذهب واستولى على هذا القصر بالقوة، ودعا الملك ومعه النحاس لافتتاح هذا القصر، فقلت للنحاس : اعتذر عن الذهاب، فاعتذر، ومن ثم لم يذهب الملك، وأخذت القصر للكلية..

محمد حسين هيكل[1]

قال عميد الأدب العربى :

عرفت المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل منذ أيام الشباب وتوثقت علاقتنا بعد إنشاء حزب الأحرار، وإشراف الدكتور هيكل على جريدة السياسة التى كنت أكتب فيها، وقد تعرضت للمساءلة بسبب بعض مقالاتى التى هاجمت فيها الوفدين، وأذكر أنه قد جرت بينى وبين الدكتور هيكل محاورات أدبية فى مجلة السفور، والسياسة، وكانت الحرب من موضوعات حوارنا ونقاشنا، وكان من رأيى أن الحرب كالديمة الغزيرة

---

(١) الدكتور محمد حسين هيكل كاتب وسياسى، ولد بمحافظة الدقهلية سنة : ١٣٠٥ هـ - ١٨٨٨م وتعلم بمدارس القاهرة، ونال إجازة الحقوق سنة ١٩٠٩م، وحصل على درجة الدكتوراه من السوربون سنة ١٩١٢م، وقد اشتغل بعد عودته من فرنسا بالمحاماة فترة، ثم تفرغ للصحافة والكتابة، وكان أحد أعضاء حزب الأحرار الدستوريين منذ إنشائه سنة ١٩٢٢ وتولى رئاسة تحرير صحيفة الحزب، ثم نائبًا لرئيس الحزب بعد وفاة محمد محمود، فرئيسًا للحزب بعد ذلك.

تولى وزارة المعارف أكثر من مرة، وكان رئيسًا لمجلس الشيوخ، ورئيسًا لوفد مصر إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة : ١٩٤٦. له عدة مؤلفات فى التاريخ والأدب والسياسة، توفى سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م

ترسلها السماء من غير حساب فتتفرق لها الجموع المحتشدة ويستتبع ذلك كثير من المضار، ولكن السماء لا تكاد تقلع والماء لا يكاد يغيض حتى تكتسى الأرض حلة خضراء بهيجة فيها للحياة العقلية والجسمية مادة صالحة موفورة النفع، وذلك مثل الحرب تصيب الناس بما نشهد اليوم من ضرر وتروى الأرض بما تقشعر له أبداننا من دماء، ولكن ما تكاد الدماء تجف حتى يهب الإنسان من وقفته الحائرة وإذا قوة حياته المادية والعقلية قد ضوعفت وأصبحت أقدر على الجهاد وأصلح للبقاء.

فليست الحرب كما يظن الكثيرون نذيرًا يؤذن بكساد المدنية وإفلاس الحضارة، وإنما هى آية تغير فى الحياة الإنسانية ودليل انتقال من حال إلى حال أظهر منها نفعًا وأقرب إلى الكمال.

وهذا الرأى الذى ذهب إليه العميد فى الحرب وآثارها نقضه الدكتور هيكل موضحًا آثار الحرب فى الخراب والتدمير والتشريد.

ويلاحظ أن هذه المساجلة كانت فى أثناء الحرب العالمية الأولى، وأنها لون من الحيوية الفكرية للعميد والدكتور هيكل فى سن الشباب، وقد أشار الدكتور فى بعض مقالاته إلى أن الدكتور طه ابتدع هذه المساجلة معه ليخلق فى الأدب العربى الحديث فن الجدل، وأنّه أخذ جانب الحرب وفضلها على الحضارة رغبة منه فى الجدل وحده، وأنّه هو الذى دعا هيكل إلى ذلك[1].

إن العلاقة بين العميد وهيكل كانت طيبة بالرغم من هذا الجدل

---

(١) مجلة الهلال عدد فبراير سنة ١٩٦٦ صفحة ٨٨.

الفكرى، وقد روى لى العميد أنّه أصلح بين هيكل ولطفى السيد بسبب ما قاله هيكل للطفى عندما طلب منه. ومن العميد أن يهيئا الرأى العام لقبول الحماية البريطانية..

ولم يحدثنى العميد عن علاقته بهيكل بعد أن توثقت صلة العميد بحزب الوفد وأصبح هيكل رئيسًا لحزب الأحرار.

وللعميد رأى فى مؤلفات الدكتور هيكل وهو رأى يتعارض مع ما قاله فى رثائه، فقد قال لى: الدكتور هيكل لم يكن يؤلف كتبه وإنما كان يكتبها له أناس آخرون ثم ينسبها لنفسه، ومع هذا تشتمل على أخطاء علمية ضخمة.

وقال العميد يومًا بمناسبة الكتب التى ألفت عن محمد ﷺ: هناك غلطة منكرة وقع فيها الدكتور هيكل فى كتابه حياة محمد حين قال: لم يكن فى البحر الأحمر إلا أسطولان هما الأسطول الحبشى والأسطول المصرى، وهذا خطأ لأن الحبشة لم يكن لها أسطول، وأن النجاشى قد اعتمد على قيصر فأرسل إليه جيشه وأسطوله، والسبب فى هذه المعاونة أنهما كانا على دين واحد..

وبعد وفاة الدكتور هيكل قال عنه العميد فى حفل التأبين:

ذلل القصة لكتابها، وذلل السياسة الصحفية لكتابها، وشارك زملاءه ومعاصريه فى تذليل اللغة العربية وتمكينها من أن تكون ملكًا للذين يتكلمونها..

محمد مندور[1]

تحدث العميد يومًا عن بعض الأدباء المعاصرين فقال :

إن الدكتور مندور ليس ذا بال فى الثقافة وليس له دور فكرى هام فى حياتنا الثقافية فى هذا القرن، فقلت : إن الدكتور مندور قد أسهم فى حياتنا الفكرية المعاصرة إسهامًا طيبًا، وله مؤلفات علمية جديرة بالخلود : فقال العميد : مثل ماذا ؟ قلتُ : مثل كتاب النقد المنهجى عند العرب، فقال : هذا كتاب (هايف)، واعلم أن هذا الكتاب هو رسالة الدكتوراه التى تقدم بها الدكتور مندور إلى جامعة القاهرة، فقد أوفدته فى بعثة إلى باريس ومكث فيها اثنتى عشرة سنة، ولم يتمكن طوال هذه المدة إلا من الحصول على درجة الليسانس فى اليونانى بسبب عبثه ولهوه وعدم إخلاصه للعمل، وبعد عودته، قدم ذلك الكتاب كرسالة حصل بها على درجة الدكتوراه.

وزار الأستاذ ثروت أباظة العميد فى مساء الخميس الموافق ٢١/١١/٦٥ تناول الحديث بينهما فيما تناول الدكتور مندور، فقال الأستاذ ثروت إن الدكتور مندور كان ينقد الكتب دون قراءتها، كان يلقى نظرة سريعة على

---

(١) حقوقى، تولى التدريس بجامعة القاهرة، ورأس تحرير بعض الصحف، وعمل فى المحاماة، ولد سنة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧م وتوفى بالقاهرة سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥م وله مؤلفات فى مناهج البحث والنقد الأدبى، وبعض الكتب التى ترجمها عن الفرنسية واليونانية.

فهارسها أو عناوين موضوعاتها، ثم يكتب عنها، وكان مردّ هذا إلى أن الدكتور مندور كان شديد الحب للمال، ويكتب من أجل الحصول عليه ولو كان ما يكتبه فى غير تخصصه، وأورد مثلاً على ذلك بأنّه كان يوما والدكتور مندور فى مكتب مدير البرنامج الثانى، وفجأة دخل عليهم موظف وقال للمدير: إن الأستاذ الذى كلف بكتابة بحث فى موضوع (كذا) لم يكتبه حتى الآن، فطلب المدير من الموظف أن يتصل بهذا الأستاذ مرة أخرى، غير أن الدكتور مندور قال: لا داعى للاتصال به وأنا على استعداد لكتابة البحث المطلوب فى الوقت المحدد.

وقال الأستاذ ثروت: ووجد مدير البرنامج الثانى نفسه فى موقف حرج، فوافق على ما عرضه الدكتور مندور، ولكن هذا السلوك لا يليق بكاتب ناشئ فضلاً عن مفكر كبير.

وعقب العميد على ما قاله الأستاذ أباظة فقال: إن الدكتور مندور فعلاً كان يحرص على المادة، فحين كان أستاذًا مساعدًا بجامعة الإسكندرية عرض عليه الأستاذ أحمد أبو الفتح أن يدفع راتبا مقداره ١٢٥ جنيها لقاء عمله فى صحيفة المصرى، وجاءنى الدكتور مندور - فقد كنت مديرًا للجامعة - وقدم إلىّ استقالتَه، فحاولت أن أثنيه عن عزمه، وأذكره بمستقبله فى الجامعة، بيد أنه أصر على رغبته فى الاستقالة، فالراتب الذى سيحصل عليه من العمل فى الصحافة ضعف راتبه فى الجامعة، وبعد فترة اختلف مع الأستاذ أبوالفتح ووصل الأمر بينهما إلى القضاء.

وصمت العميد برهة ثم قال: والذى أحمده للدكتور مندور وفاءه وحسن تقديره لأساتذته وأدبه معهم فى الجدل والنقاش.

محمد المهدى[1]

الشيخ محمد المهدى أحد أساتذة العميد الذين درس لهم فى الجامعة الأهلية، ولم تكن دروس هذا الشيخ تلقى من العميد الرضا والقبول، ومع هذا كان الشيخ المهدى يعامل تلميذه معاملة لطيفة.

كنت أقرأ للعميد فى كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، وفجأة قال العميد: رحم الله الشيخ المهدى، فقلت: ومن الشيخ المهدى هذا؟ فقال: كان أستاذًا فى القضاء الشرعى، وكان يدرس لنا الأدب فى الجامعة، غير أنّه لم يكن على مستوى أستاذ الجامعة، ولكنه كان معى لطيفًا، فكان عقب كل محاضرة يعطينى سيجارة، ثم يقول لى: انتظر حتى ألعها لك.

وأذكر أنى قد اختلفت مع الشيخ المهدى بسبب مقال كتبته عنه وكان

---

(١) ولد الشيخ محمد المهدى سنة: ١٢٨٥هـ - ١٨٦٨م فى إحدى قرى محافظة الشرقية من أب ألبانى وأم كردية، وتعلم بالأزهر ودار العلوم وتتلمذ للشيخ محمد عبده، وكان من أنصار مصطفى كامل. وكان كاتبًا عالى الأسلوب يؤثر الفصحى فى حديثه، درس العربية والأدب بالمدارس والجامعة، وشارك فى تأليف مذكرات فى الفقه الإسلامى. توفى سنة: ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م

ذلك بعد عودتى من فرنسا بسبب الضائقة المالية التى تعرضت لها الجامعة، فإنى لما استدعتنى الجامعة سعيت إلى حضور بعض الدروس فيها ولكن على كره منى، وحدث أن حضرت للشيخ المهدى درسًا فى تاريخ الأدب العربى فى الأندلس، وفور سماعى لهذا الدرس تذكرت بعض دروس الآداب فى جامعة مونبيليه، وكتبت بعد ذلك مقالة وازنت فيها بين الدرسين، وقد غضب منى الشيخ المهدى، وطالب الجامعة بمعاقبتى، لأنى قد ارتكبت جرمًا شنيعًا.

وكان العميد قد نشر فى مجلة السفور (٣٠ نوفمبر سنة ١٩١٥) مقالاً جاء فيه:

فى مثل هذا اليوم من السنة الماضية سمعت لأول مرة درس الآداب فى جامعة مونبيليه، وكان الأستاذ يدرس قصة وضعها «الفريد دى فينى» على المثال الذى اخترعه الكاتب الإنجليزى «ولتر سكوت» من القصص، فلما خرجت من الدرس سألت صاحبى ضيفًا (يقصد أحمد ضيف) كيف ترى هذه المحاضرة، فقال: لا بأس بها، ولكنها شديدة الاختصار، قلت: إنّك لمسرف شديد الطمع يا ضيف، فلو سمعت درسًا فى الآداب فى الجامعة المصرية ورأيت الأستاذ وقد مر فى محاضرة واحدة بثمانية من الشعراء فى عصر المأمون لعرفت أن صاحبنا فى مونبيليه قد بلغ الغاية القصوى فى الإطالة والإسهاب.

ورجعنا بعد ذلك إلى مصر، وفى اليوم نفسه من هذه السنة سمعت درسًا فى الأدب العربى فى الجامعة المصرية، وأبَى ضيف أن يحضره معى؛ لأنّه كان عنه فى شغل، كان درس الأستاذ المهدى فى تاريخ الأدب العربى

الأندلسى أشبه بمعرض العصور المتحركة تمر فى ظلال الشعراء، ولما يتبين منها الطلاب أكثر من أسمائهم.

لم يكن فى هذا الدرس شىء يدل على أنّه درس فى الجامعة، وإنما هو نوع من الحديث يستفزّ سامعيه بما يعرض من الغزل والوصف ومن آيات البديهة والارتجال.

ولا ألوم الجامعة فإنها لم تأل جهدًا فى حسن الاختيار ولا ألوم الأستاذ، فإنّه قد بذل ما يملك وجاد بما يستطيع أن يجود به، ولكنى أرثى لصاحبى ضيف لأنّه حرم نفسه لذة الاستماع لهذا الجميل وحرم معها هذا الألم يشعر به من سمع العلم فى جامعات فرنسا، ثم فى جامعة مصر، وقارنه بين الأستاذ والطلاب هنا وهناك.

وما كاد هذا المقال ينشر حتى قامت القيامة على العميد ونشرت الصحف أيامًا متوالية أنباء الأزمة التى أحدثها، وكيف طلب الشيخ المهدى إلى مجلس إدارة الجامعة أن تعاقب الدكتور طه وأن تقسو عند توقيع العقاب على هذا الجرم الشنيع، فتشطب اسمه من قائمة متخرجى الجامعة الذين يتعلمون على حسابها فى فرنسا.

ونشرت بعض الصحف أن على بهجت سكرتير مجلس الجامعة استدعى الشيخين عنده فاعتذر الشيخ طه وانتهت المسألة، وزاد لطفى السيد فى ترضية الشيخ المهدى فحضر مع طه وآخر من أساتذة الجامعة درسًا من دروس الشيخ، فلما انتهى وقف لطفى السيد ووجه الشكر للأستاذ.

وقالت صحف أخرى: إنّه ليس صحيحًا أن طه اعتذر عما نسبه إلى

الشيخ من الخطأ العلمى، ونشر سكرتير مجلس الجامعة بيانًا فى الصحف قال فيه :

«اجتمع لدىّ الأستاذ الشيخ محمد المهدى، والدكتور الشيخ طه حسين وتكلما فى شأن ما نشر بجريدة السفور فيما يخصهما جميعًا، وتفاهما تفاهمًا حسنًا، واعتذر الشيخ طه حسين إلى الأستاذ الشيخ المهدى عما رآه الشيخ المهدى ماسًا بكرامته»(١).

---

(١) مجلة الهلال عدد فبراير سنة ١٩٦٦ ص ٩٠، ٩١.

مصطفى صادق الرافعى[1]

من المعلوم أن الرافعى لم يكن على علاقة طيبة بالعميد، وأن الخلاف بينهما لم يكن بسبب كتاب الشعر الجاهلى فحسب، وأن الرافعى قد كتب عن العميد وهو ما زال طالبًا، وأن ما كتبه كان هجومًا عليه، وقد نشر هذا الهجوم فى مجلة الزهور فى سنة ١٩١٢

وقد اشتد الخلاف بين العميد والرافعى بعد نقد العميد كتب الرافعى وبخاصة السحاب الأحمر، فقد جاء فى رسالة بعث بها الرافعى إلى صديقه الشيخ محمود أبو رية حول رأى العميد فى ذلك الكتاب: «أما هذا - يعنى العميد - فكل الذين لقيتهم فى مصر حتى من أصدقائه هنأنى بالرد عليه، وحاول بعضهم أن يصلح بينى وبينه فرفضت، وكنت جالسًا عند رئيس تحرير جريدة الاتحاد فحضر ولم أتحرك له، ولم أعبأ به وأهملته

---

(١) مصطفى صادق الرافعى من كبار الكتاب والأدباء، أصله من طرابلس الشام، ولد سنة: ١٢٩٨ هـ - ١٨٨١ م بمدينة طنطا، وقد أصيب بصمم فكان يكتب لمن يريد مخاطبته، عمل كاتبا بالمحاكم.

له عدة مؤلفات فى الأدب وتاريخه وإعجاز القرآن، كما أصدر ديوان شعر من ثلاثة أجزاء، وهو فى أدبه رصين الأسلوب، وفى شعره نقى الديباجة على جفاف فى أكثره.
توفى بمدينة طنطا سنة: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م

إهمالاً تاما، وكذلك فعلت معه فى إدارة السياسة، وقد ظهر لى أن أخلاقه. . . وأنّه رجل مكابر لا غير». ويقول الرافعى فى رسالة أخرى من رسائله إلى الشيخ أبى رية:

«فإن هذا الرجل فى باب القديم والجديد «مصلحة تنظيم كاملة»، ومع ذلك فقد ترجم مائة رواية فرنسية ولم يضع واحدة عربية، وانتقد مائة شاعر ولم ينظم قصيدة، وتطاول على مائة كاتب ولا تعرف له قطعة بليغة، فأين الجديد فى مثل هذا إلا أن يكون هذا الجديد النقل والترجمة والسرقة والجراءة على ما يحسن وما لا يحسن. . .»[1].

وفى يوم الجمعة الموافق ١٩٧٠/٤/٢٤، زار العميد مساء الشيخ أبو رية، ودار الحديث بينهما حول مسائل مختلفة، وكان بينهما ما كان بين الرافعى والعميد من خلاف، وقد قال العميد: أنا لا أدرى بالضبط لماذا هاجمنى الرافعى، وكان عنيفًا فى هجومه، متحاملاً أشد التحامل، هل ذلك لأنى قلت عن بعض كتبه مثل حديث القمر والسحاب الأحمر إنها غامضة غير مفهومة. .

ولم ينته العميد والشيخ أبو رية إلى رأى يحدد أسباب الصراع، وهل كان من بينها أسباب سياسية أم أنها كلها تدور فى نطاق الخلاف الفكرى، وإن اتسم هذا الخلاف بالعنف والشقاق بين الرافعى والعميد، وقد قال الشيخ أبورية عن الرافعى: إن الرافعى كان يؤمن بكرامة الأولياء، وقد زرته يومًا فقال لى حين رآنى: أبشِرْ أبا رية، فقد زارنى الأقرع فى المنام-

---

(١) من رسائل الرافعى صفحة ٥٠. ط: دار المعارف.

يعنى السيد أحمد البدوى - وبشّرنى بالشفاء[1]، وقد كتبت قصيدة حول هذه البشرى أريد نشرها ومطلعها:

مريض على باب أحمد منكب فيا سيد الفتيان أنت له طب

ويضيف الشيخ أبو رية:

فلما قال لى الرافعى ذلك وقرأ على القصيدة، قلت له: لا تنشر هذه القصيدة الآن فإن شفاك الله فانشرها، وإلا فلا داعى لنشرها حتى لا يكون فى نشرها فتنة للناس، فلم ينشر الرافعى هذه القصيدة وظلت من آثاره التى لم تنشر..

وضحك العميد بعد سماع ما رواه الشيخ أبو رية، ثم قال:

إن الرافعى لما انتقل إلى جوار ربه وكنت عميدًا لكلية الآداب، وكانت إحدى بنات الرافعى طالبة بهذه الكلية، وعجزت عن دفع المصروفات، وعرفت ذلك طلبت من اللجنة المختصة أن تمنح بنت الرافعى المجانية، وذكرت للجنة أنّه إذا حالت موانع قانونية دون منح هذه الطالبة المجانية فأنا على استعداد لدفع مصروفاتها من جيبى.

(١) عاش الرافعى مريضًا بالصمم وكانت الكتابة وسيلة التفاهم بينه وبين الناس..

مصطفى النحاس[1]

قال عميد الأدب العربى :

بعد عودتى من أوربا كانت ثورة سنة ١٩١٩ قد هدأت، ولكن الخلاف كان محتدمًا بين سعد زغلول وعدلى يكن، وقد آلمنى انقسام المثقفين الذين قادوا الثورة، وأخذت أكتب فى جريدة السياسة التى أنشأها الأحرار الدستوريون، وكنت عنيفًا فى كتاباتى السياسية، كنت مع عدلى ضد سعد.

ولما أصبحت الجامعة حكومية فى سنة ١٩٢٥ لم أتوقف عن الكتابة فى السياسة وكنت شديد العنف ضد سعد، وبعد وفاته سنة ١٩٢٧، وكذلك وفاة عدلى فى باريس ضعف الحوار بين حزبى الأحرار والوفد،

---

(١) مصطفى النحاس زعيم مصرى ولد فى سمنود بمحافظة الدقهلية سنة ١٢٩٦ هـ - ١٨٧٩ م وتعلم بها وبالقاهرة، وتخرج فى مدرسة الحقوق سنة ١٩٠٠ وعمل فى المحاماة والقضاء واشترك مع سعد زغلول فى ثورته ضد الاحتلال البريطانى واعتقل معه سنة ١٩٢١ ثم تولى وزارة المواصلات سنة ١٩٢٤ م، وخلف سعدا فى رئاسة الوفد بعد وفاته سنه : ١٩٢٧ وتولى رئاسة الوزارة خمس مرات، وقد أبرم مع الانجليز معاهدة : ١٩٣٦م، وألغاها فى آخر مرة تولى فيها رئاسة الوزارة. توفى بالقاهرة سنة : ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م

وفى عهد صدقى سنة ١٩٣٢ تعرضت لأزمة شديدة بسبب موقفى من الحكومة، وعدم الاستجابة لها فى منح بعض الساسة درجة الدكتوراه الفخرية، وقد أحلت على المعاش دون أن يكون لى معاش، ولم تكن كتاباتى السياسية تدر على شيئًا فقد كنت أكتب مجانًا، يضاف إلى هذا أنّه لم يكن لدى مال مدخر وتعرضت لأزمة شديدة حاولت التغلب عليها بالسلف من بعض الذين تربطنى بهم صلة وثيقة مثل نجيب الهلالى.

فى هذه الظروف جاءنى مصطفى النحاس ومعه مكرم عبيد وعرضا علىّ رئاسة تحرير جريدة كوكب الشرق، وهى جريدة وفدية، وكان راتبى منها مائة جنيه، ومع هذا لم أوافق إلا بعد أن عرضت الأمر على الأحرار، ونظرًا لأن الأحرار والوفديين كانوا متآلفين ضد صدقى وافقوا على أن أتولى رئاسة تحرير تلك الجريدة.

وابتدأ عملى فى كوكب الشرق من شهر مارس سنة ١٩٣٢ إلى شهر سبتمبر ١٩٣٤، وقد تركت هذه الجريدة لأنى عدت إلى عملى فى الجامعة.

وأذكر مثالاً لكتاباتى السياسية الشديدة اللهجة البالغة العنف أن الوفديين منعوا محرر جريدة السياسة التى كان يصدرها الأحرار الدستوريون من حضور جلسة البرلمان، وكان أن كتبت مقالة ضد الوفديين وكانت بعنوان «ضعاف» وكانت المقالة هجومًا قاسيًا، ونقدًا لاذعًا وسخرية بالغة، وكان من عادتى ألا أوقع مقالاتى السياسية، ولكن أسلوبها كان ينم عن كاتبها، ولذلك قدمت للمحاكمة بسبب هذه المقالة، وقد نصحنى بعض الأحرار أن أنكر أن المقالة لى إذا سئلت عنها، غير أنى رفضت هذا وأصررت على عدم الكذب وإنكار مقال كتبته، وحلاً لهذا

الموقف قال لى المرحوم عبد العزيز فهمى :

إذا سئلت أى سؤال فإن إجابتك دائمًا : لا أجيب. .

ويقول العميد :

فلما ذهبت إلى وكيل النائب العام وسألنى هل كتبت مقالة ضعاف؟ فقلت له : لا أجيب، فقال لى : وأين الشجاعة التى تعلمها للطلبة فى الجامعة، فقلت له : لا أجيب.

وهكذا حتى يئس منى وقال لى أخيرًا : اتفضل اذهب إلى بيتك.

وحضرت جلسة المحكمة التى نظرت قضية هذا المقال وجلست بين الحاضرين، ووقف محامى الوفديين يقرأ المقال، وفى أثناء قراءته سمعت بعض الحاضرين يقول : ابن الكلب أسلوبه قوى جدًا، وما كاد المحامى يفرغ من قراءة المقال حتى دوت القاعة بالتصفيق الحاد مما حمل القاضى على رفع الجلسة احتجاجًا على هذا التصرف قائلاً : حتى يعلم الناس أن للقضاء وقارًا. .

ويتحدث العميد عن علاقته بالزعيم مصطفى النحاس فيقول :

وكان عملى فى كوكب الشرق بداية العلاقة بينى وبين مصطفى النحاس، وازدادت هذه العلاقة وثاقة بمرور الأيام، وكنت أزوره كثيرًا فى منزله فى جاردن سيتى، وكنت إذا ذهبت إليه وانتظرته فى الطابق الأول، وارتدى ثيابه ونزل من الطابق الثانى فإنّه يلقانى باشّاً مداعبًا قائلاً : طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى - وكان الرجل يستنصحنى فى بعض الأمور وكان يأخذ بما أشير عليه، كما كان ينزل عند رأيى إذا اختلفنا، ولما توليت

الوزارة كنت دائمًا أهدد بالاستقالة إذا لم يستجب مجلس الوزراء لطلباتى.

وقبل أن يقيل الملك الوزارة بعد حريق القاهرة المعروف - وهو حريق مدبّر اشتركت فيه بعض العناصر الأجنبية - كنت قد اختلف مع النحاس حول موضوع لا أذكره الآن وهددت بعنف بالاستقالة إذا لم تتحقق طلباتى، وفى مساء اليوم الذى اجتمع فيه مجلس الوزراء اتصل بى النحاس تليفونيًا وقال: لقد أقيلت الوزارة، أقالها الملك بدعوى أنها عجزت عن حماية الأمن، ثم قال النحاس: وحتى نستريح من تهديداتك بالاستقالة.

ولم يحدثنى العميد عن علاقته بالزعيم مصطفى النحاس بعد إقالة الوزارة، ثم بعد قيام الثورة ولم أدر ماذا قال عنه يوم وفاته، ولكن الذى يمكن قوله إن العميد كان يحب النحاس ويأنس إليه ويلتقى به كثيرًا وإن هذا كان يقدر العميد كل التقدير..

منصور فهمى[1]

قال عميد الأدب العربى :

لقد سافر الدكتور منصور فهمى إلى فرنسا على نفقة الجامعة الأهلية للحصول على درجة الدكتوراه فى الفلسفة، وقد اختار الدكتور منصور موضوعًا لرسالته هو: «مركز المرأة فى الإسلام»، وقد وقع فى بعض الأخطاء التى أثارت عليه الرأى العام بعد عودته من البعثة وعمله فى الجامعة، فلما عاد وعين بالجامعة وتحدث الناس عن أخطاء رسالته أبعِدَ عن الجامعة وظلّ مبعَدًا عنها حتى رجعت من بعثتى وعينتُ فى الجامعة،

(١) ولد الدكتور منصور فهمى سنة : ١٣٠٣ هـ- ١٨٨٦م، وتعلم بالمنصورة والقاهرة وسافر فى بعثة إلى باريس سنة ١٩٠٨ لدراسة الفلسفة، وقد حصل على درجة الدكتوراه سنة ١٩١٣، وعمل بالجامعة نحو عام ثم أبعد عنها بسبب موضوع رسالته للدكتوراه، ثم عاد إليها سنة ١٩٢٠، وقد تدرج فى عمله الجامعى إلى أن كان عميدًا لكلية الآداب، ثم اختير مديرًا لدار الكتب فمديرًا لجامعة الإسكندرية إلى أن أحيل إلى التقاعد سنة ١٩٤٦م.

كان عضوًا بالمجمع اللغوى منذ إنشائه، وانتخب كاتب سره ويقى فى هذا المنصب إلى أن توفاه الله سنة : ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩م.

كان خطيبًا فيلسوفا أديبًا، من آثاره : خطرات نفس. . وهى فصول أدبية وفلسفية نشرها فى الصحف ثم جمعها فى هذا الكتاب.

وقد لجأ إلىّ ليعود مدرسًا بالجامعة، وذهبت إلى ثروت باشا وقلت له : لماذا لا يعين الدكتور منصور فهمى فى الجامعة وهو حاصل على درجة الدكتوراه والجامعة فى حاجة إليه، وقد أمر ثروت بتعيين الدكتور منصور فى الجامعة.

ويستطرد العميد قائلاً :

ومن الغريب أن الدكتور منصور بعد تعيينه فى الجامعة وجد أن راتبه أقل من راتبى، وكان راتبى أكثر منه، لأنى طلبت من الجامعة مبلغًا أدفعه لسكرتير يقرأ لى، وكانت الجامعة قد رفضت طلبى، ولما علم الملك فؤاد بما أريد أمر به - المهم أن الدكتور منصور ثار، واعتبر ذلك إهانة له فهو أقدم منى فى الحصول على درجة الدكتوراه فكيف يكون راتبى أزيد من راتبه.

وبعد أن أصبحت الجامعة حكومية وتقرر وضع أعضاء هيئة التدريس فى درجات جامعية ظل الدكتور منصور مدرسًا على حين وضعت فى درجة أستاذ، وكان هذا سببًا أيضًا لثورة الدكتور منصور، وبعد ذلك تنكّر لى الدكتور منصور، ونسى أنى كنت السبب فى عودته إلى الجامعة، وأخذ يتعاون مع بعض الساسة ضدى، ولكن لماذا ألومه وحده، لقد أحسنت إلى الكثيرين فقابلوا الإحسان بالإساءة وكم كانت زوجتى تعتب على، لأنى سريع الثقة بالناس والاطمئنان إليهم وتقديم الخير لهم، ثم لا يكون منهم إلا النسيان والتنكّر والكيد الخبيث فى بعض الأحيان.

نجيب الهلالى[1]

قال عميد الأدب العربى :

كانت بينى وبين نجيب الهلالى صداقة حميمة، وكنا نجلس معًا كثيرًا فى نادى الوفديين، ولما أحلت على المعاش بسبب موقفى من الحكومة ورفض طلبها منح بعض الساسة درجة الدكتوراه الفخرية من كلية الآداب، لم يكن لى معاش ولم يكن لدى مال مدخر أنفق منه، وقد لجأت إلى نجيب الهلالى واستلفت منه مبلغ مائة جنيه.

وفى سنة ١٩٣٤ تغيرت الوزارة وأصبح رئيسها توفيق نسيم باشا، وتولى نجيب الهلالى فيها وزارة المعارف فأعادنى إلى الجامعة، ودفع لى مكافأة عن السنين التى أمضيتها مدرسًا فى الجامعة قبل أن يحيلنى صدقى

---

(١) من رجال السياسة والقضاء بمصر، ولد بأسيوط سنة ١٣٠٨هـ - ١٨٩١م وتخرج فى مدرسة الحقوق سنة ١٩١٢م، ودرس بها، وعمل فى المحاماة، وتدرج فى مناصب القضاء، وتولى الوزارة أكثر من مرة، وتولى رئاستها مرتين قبيل قيام ثورة ١٩٥٢، وبعد الثورة عاد إلى عمله فى المحاماة، ثم اعتكف فى منزله إلى أن توفى سنة : ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م

كان خطيبًا لبقًا، وله من المؤلفات : شرح القانون المدنى فى العقود، وكتاب البيوع.

فى سنة ١٩٣٢ على المعاش، ومن هذه المكافأة رددت إلى نجيب الهلالى المائة جنيه التى استلفتها منه.

إن نجيب الهلالى عينى مديرًا لجامعة الإسكندرية وبقيت شهورًا ثم أحالنى أحمد ماهر إلى المعاش سنة ١٩٤٤..

وأذكر أن نجيب الهلالى حين كان وزيرًا للمعارف دعى للمشاركة فى حفل بمناسبة مرور ألف سنة على مولد الفردوسى مؤلف الشاهنامة، فجاءنى وقال: والله يا أخى لا أعرف شيئًا عن الفردوسى هذا وطلب منى أن أكتب له كلمة عن الفردوسى، وكتبت له الكلمة وألقاها نجيب فى الحفل، وكنت هناك وبعد انتهاء الحفلة اقترب منى لطفى السيد وهمس فى أذنى: عليك أن تغير أسلوبك إذا كتبت لغيرك حتى لا تسبب لمن تكتب لهم إحراجًا..

ويضحك العميد ويقول:

لقد كان نجيب الهلالى محاميًا قديرًا، وكان يتمتع بالذكاء ويحب النكتة، وظلت علاقتى به طيبة للغاية إلى أن نجح الوفد فى انتخابات سنة ١٩٥٠، فلما عرضت وزارة المعارف على نجيب رفضها؛ لأن زوجته هددته إن قبلها أن تتركه وتذهب إلى منزل والدها، فلما عرض علىّ النحاس وزارة المعارف قبلتها وبعد ذلك قاطعنى نجيب وفسد الحال بينى وبينه.

ويضيف العميد:

إن نجيب الهلالى كان يحب الشرب كثيرًا، لكنه فى السنين الأخيرة من حياته عكف على قراءة كتب التصوف والزهد، ولما زارنى الأستاذ محمود

غزال – وكان وزيرًا للزراعة فى وزارة الهلالى – قلت له : قل لنجيب بأن يترك القراءة فى كتب التصوف، لأنها تورث الجنون، وعليه بقراءة القرآن إذا شاء. .

ويختتم العميد حديثه عن نجيب الهلالى بأن الهلالى هو أول من جعل التعليم الابتدائى بالمجان ولم يكن قبله كذلك، وأنّه عين فريد شحاتة – وهو السكرتير الذى عمل مع الدكتور نحو أربعين سنة – عينه فى وزارة المعارف حينما كان الهلالى وزيرًا لها، وقد عينه فى الدرجة الرابعة مع أن مؤهل فريد هو الابتدائية القديمة، ولم يتمكن من الحصول على شهادة أعلى منها على الرغم من المدة الطويلة التى عمل فيها معى، ولذلك لم يستمر فريد فى هذه الوظيفة إلا مدة بقاء الهلالى فى الوزارة، لأن الوزير الذى تولى بعده طرد فريد من وظيفته.

على أنى عملت مستشارًا لوزارة المعارف فى عهد نجيب الهلالى، وأذكر أنى عاونت صديقنا زناتى وأنا أعمل مستشارًا لوزارة المعارف، وذلك لأن زناتى ليس له إنتاج أدبى إلا تحقيق الجزء الأول من الفصول والغايات، ولولا أن الوزارة اشتركت فى الكتاب واشترت منه نسخًا كثيرة – وكان ذلك بأمر منى – فإن زناتى لم يكن يستطيع طبع هذا الكتاب. .

وبعـد

فهذا ما حدثنى به العميد عن علاقته ببعض أعلام عصره وقد التزمت فيما كتب ما قاله نصا أو معنى، وكنت أستطيع أن يكون هذا الكتاب أكبر حجمًا وأغزر مادة عن طريق الرجوع إلى بعض المصادر، ولكنى آثرت أن أقتصر فيه على ما سمعته مهما يكن مقداره، ولم يكن رجوعى إلى مصدر أنقل منه نصا إلا لأن العميد قد أومأ فى حديثه إلى هذا النص، ومن ثم يصبح هذا الكتاب كما جاء فى مقدمته - رواية أكثر منه دراسة -.

على أنى بإذن الله سأعد كتابًا آخر عن العميد تحت عنوان « أيام مع طه حسين » وفى هذا الكتاب تسجيل كامل لمذكرات يومية دونت فيها جميع ما سمعت ورأيت، سواء أكان هذا يدور فى نطاق الفكر والسياسة أم فى نطاق الحياة الخاصة للعميد وكيف كان يحيا فى العقد الأخير من عمره.

والذى يلاحظ من خلال هذا الكتاب الذى روى طرفًا من علاقة العميد ببعض أعلام عصره - أن العميد عاش حياة طابعها الصراع، وأنّه لم يلق من الذين أحسن إليهم إلا العقوق والنكران، وأن هذا كان يؤلمه أشد الألم، ومع هذا لم يحمل قلبه الحقد والضغينة لأحد حتى مع خصومه الذين انحدر بعضهم إلى الشتائم المقذعة.

والحقيقة أن الذين كانوا يذكرون العميد فى مناسبات التحية والتهنئة

عدد قليل، وأن تلاميذ العميد - وما أكثرهم - فضلاً عن أقرانه، قد انصرفوا عنه فى الأعوام العشرة الأخيرة من عمره، وهى الأعوام التى سعدت فيها بلقاء العميد والعمل معه، وأذكر يومًا أن تلميذة له جاءت لزيارته ظهرًا ودون موعد سابق، فرفض لقاءها؛ لأنها جاحدة وعاقّة، فهى لم تزره منذ زمن طويل مع أنّه درس لها وهى طالبة فى الجامعة ثم أشرف عليها حتى أخذت درجة الدكتوراه، وكم كانت تتردد على بيته تقرأ عليه ما أنجزت من رسالتها، فلما صارت إلى ما صارت إليه من الشهرة والعمل فى الجامعة، نسيت أستاذها، ولم تعد تزوره أو تجامله، وهكذا كان العميد يشكو من الذين تنكروا له وتخلوا عنه، ويردد دائمًا: إن نكران الجميل شىء فظيع.

وفى النية بإذن الله إخراج كتاب ثالث يتعرض للحديث عن الذين عملوا مع العميد وبخاصة الأستاذ فريد شحاتة، ثم آخر مقال كتبه العميد، والكتب التى قرأتها معه، ونشاط العميد فى المجمع بعد رئاسته له، وعلاقة العميد بأهله وأقاربه، وأخيرًا زوجة العميد والصورة الحقيقية لها.

وأرجو أن أؤدى بهذا كله بعض ما يجب على قبل العميد، ونحو تاريخنا الأدبى والسياسى الحديث.

دكتور محمد الدسوقى

فهرس

الصفحة

الصفحة

رقم الإيداع		١٩٩٢ / ٩٣٨٧
الترقيم الدولى	977 - 02 - 3881 - 3	ISBN

١ / ٩٢ / ٣
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

٤٠٦٤٢٧

أتيح لى أن ألقى عميد الأدب العربى المرحوم الدكتور طه حسين وأن أعمل معه فترة غير قصيرة (١٩٦٤ - ١٩٧٢)، وفى أثناء تلك الفترة سمعت الكثير من العميد الفقيد..

وهذا الكتاب الذى أقدمه اليوم عن علاقة العميد الرائد ببعض أعلام عصره ليس فيه إلا رواية النصوص والأخبار كما سمعتها.. على أن تلك الروايات والأخبار التى اشتمل عليها الكتاب ينشر معظمها لأول مرة، ولذا تصبح لها قيمتها العلمية الهامة...

والذى أود أن أشير إليه أنى كنت أحرص على ألا يعرف العميد أنى أدون شيئاً مما يقول، وكنت أنصت لحديثه وأسجله فور سماعه.. ويعلم الله أنى ما تقولت على العميد الجليل أو حذفت بعض ما قاله، وأنى كنت أتغيا من وراء حرصى على التدوين لكل ما أسمع وأرى، خدمة الفكر والتاريخ.

الدكتور محمود الدسوقى

